

بیتو موسولینی

خواطر ز عیثم



ارنالدو موسولینی

فهرس

صفحة									
٣	المقدمة
٧	حياة ارتلو موسولينى
٤٩	حياة سندرو موسولينى
٦٥	أحاديث لموسولينى بقلم اميل لنديج
٦٧	تمهيد
٩٥	مذكرات الحرب
١٠٠	الاستعداد الحرقى

الاهداء

الى زكري محمد زغبول

المقدمة

لم أدفع بهذا الكتاب إلى الناشر إلا عن اعتقاد في فائدته ورغبة في دعوة كتابنا جميعا — عن طريق مباشر عام رسمي لا يستطيعون تجاهله — إلى سد نقص شنيع في أدبنا الحديث، وهو خلوه التام من كل ماله صلة بتاريخ ثوراتنا القومية الحالية والراهنة، وبدراسة نهضات الأمم الفتية التي بين حياتها وحياتنا شبه قد يكون البحث فيه وإذاعته بما يعزز الآمال ويقوى الصدور في مصر ظمأ شديد لهذا النوع من الأدب، وهو السبب الأول في الرجة التي قوبلت بها الكتب التاريخية التي ظهرت أخيرا، إلا أن هذه الكتب غير شعبية ينما نحن في حاجة إلى من يصهر لنا ماضينا بحاضرنا، ويجعل منهما عنصراً واحداً يغذى به

قلوب هذه الأمة المفككة المنقسمة على نفسها في تيارات نفسانية وثقافية واجتماعية عدة تكاد تذهب بطابعها وتحرمها من كل جمال خلقت به ، ولن يتأتى هذا لكتابنا إن لم يتخلصوا من قيود المنطق وصعوبات التفكير العويص ولا حظوا قبل كل شيء أنهم يكتبون للشعب وتهذيبه ، وإن الشعب في حاجة لى من يعلمه ماضيه عن طريق العاطفة أولا .

إنتى مؤمن إيماننا لا يتزعزع بان للجيل الحاضر فى مصر حظا لا يضارعه فيه جيل معاصر آخر . حظ إحياء أمة آن لها أن تبعث ، واثق من ان هذا الجيل يستطيع أن يؤدى رسالته بتهديب هذا الشعب وتغذية آماله عن طريق إذاعة تاريخ آباءه وإيقافه على ما يحدث حوله بين أمم لها ماله فى التاريخ وله ماله بحكم هذا التاريخ نفسه فى الحاضر والمستقبل

فى العالم المحيط بنا أمثال ناطقة عديدة تدل على ان كل شعب كان يستطيع أن يكون إذا ما دخل دفة نفسه وأطل على العالم لا لتقليده بل ليقس مكانته منه ويتغذى بالعناصر الحية فيه . يجب أن ندرس عناصر نهوض هذه الأمم . يجب أن نستوعبها ونلجأ إليها فى جهادنا المقدس . ويجب أن ندرس تاريخنا قبل كل شيء . . .

ولقد كان بودى أن يكون كتيبى هذا بابا فى هذا النوع من الدرس ، إلا أنى وجدته أوسع من أن تكفيه ثقافتى المحدودة ،

لذا اكتفى بنشره للتنبيه ، وبتقديمه إلى كل من يبحث في قرارة
نفسه، في مصر والشرق، عن مثال للقوة، ومبعث للأمل .
فليقرأه كل من يحيا وعيناه متجهتان نحو مثل أعلى يسعى
إلى تحقيقه على أنه تاج نفس كبيرة رجة جابهت العالم مرفوعة
الرأس ، وبصمت جبهته بطابع لن يمحي . فليقرأه كل من يتألم
لجهل أبناء مصر بحياة مصر . فليقرأه كل من يصبو بنفسه وروحه
إلى رؤية اليوم الذي تجد فيه مصر من بين أبنائها القمينين بأداء
رسالتها الشرقية الصميمة في عصر يتطلع العالم فيه إلى نور الشرق

صبي ومعه

حياة ارنالدو موسوليني

بقلم أخيه

القسم الأول

الذكريات الأولى

٢٥ ديسمبر ١٩٣١

أريد أن أشرح هذا المساء في وضع الكتاب الذي سأهديه
لذكرى ارندلو . ولقد بدأت اليوم لخص الأوراق التي تركها
في قصر البندقية ، واستغرقت في ذلك ست ساعات كنت أشعر
أثناءها بضرورة هذه العملية الدقيقة التي قمت وسأقوم بها في
قلقي نفساني مروع ، فوجدت بين ما وجدت مخطوطات لخطب لي
كنت أظنها مفقودة ، وسندات على شيء من الأهمية السياسية ،
وخطابات قديمة وحديثة مني ومن آخرين إلى ارندلو . واتفقت
لي أيضا مسودات كتاب لمن تدعى السيدة « بندقي دي تشرينا »
لحقت فيها تاريخ ٢٥ سبتمبر ١٨٩٦ وهو تاريخ أول آلامنا أنا
وارندلو ، ولعله أول آلام أديجا أيضا ، فقد كانت صغيرة جداً
حينئذ ، وأعني بموت جدتي « مرنيا جتي » . أتى أذكرها في وضوح
تام : كانت امرأة طويلة ، معروفة ، دائمة الحركة ، دأبها أن تسعى
على ضفة النهر ، وأن تجمع ما تتركه عليها الفيضانات من قطع
خشبية . كانت لا تقبل الجلوس معنا إلى المائدة لنستهلك اطعمتنا
الجالقة . وهي تتألف طيلة الأسبوع من شربة خضار في الظهر ،
وصحفة شكوريا برية في المساء نأكلها معا في نفس الصفحة ،
ثم نصف كيلو لحم شاة يوم الأحد كنا نضطر لقشط زبد

باستمرار ، وكانت لها - رغم تدينها - لازمة لسانية هي أن تقوله
« لعن الله الفحش » ، وكانت تحبنا حبا جما وكنا نغضبها علينا
إغضابا شديداً .

سرنا عصر ذلك اليوم البعيد - يوم ٢٥ سبتمبر - أمنا ونحن
أبنامها الثلاثة ، إلى كرمة كانت قد اكترتها لنا في كرونا لمدة
تسع سنين . لم تكن كرمتنا هذه كبيرة ، ولم تكن تنتج لنا
أكثر من عربة عنب أى ما يعادل ثمانية قناطير ، ولكنها كانت
تحتوى على ثلاث تينات منها تينة لها أثمار حلوة بنوع خاص .
كانت عادتنا حينئذ أن نسير إلى كرمتنا من فرانو ونصعد في
سبيل منحدر بين كروم « فيليونو وجيوليانو » ثم نمر من حقل
« كارولا » وهو في حراسة كلب كبير كان يخيفنا دائماً ويضطرنا
إلى حشو جيوبنا بالأحجار على مسافة كيلو متر منه ، وأخيراً
كان يبدو لنظرنا شط رومانيا وأبراج فورلى الثلاثة ، وعلى بعد
منها شريط البحر الأزرق بين « تشرفينا وتشرنتكو » فكان هذا
المنظر الرحيب يقرعني ويبعث نفسى على التأمل .

كان عصر ذلك اليوم الذى أمضيته في كرمة كوكلن كثيراً
لا أدرى مبعث كآبته ولكننا اجتمعنا أخيراً بأمننا وتغنيلاً
بأغان قديمة كانت إحداها تقول :

لقد نبه بريق السيوف الخاطف
عروشا وشعوبا

هيا أيها الإيطاليون إلى الميدان . إلى الميدان
فقد دعانا الوطن !

لست أدري لمن هذه الآيات حتى اليوم ، وقد خلت ستة
و ثلاثون عاما ، ولكننا عند مأسألتنا والدتنا أجابتنا بأن جندستي
١٨٥٩ و ١٨٦٦ كانوا يتغنون بها .

وآذنت الشمس بالمغيب فهبطنا فرانو وبلغناها فعلا بعد أن
خيم الظلام وإذ بـ « بتينا دي سكارينو » تقبل نحونا عندهم دخل
الطريقة وتنبأنا بأن « مرينا » مريضة
رقينا جميعاً الدرج واثين عندما سمعنا الخبر ، فألفينا جدتنا
تخرج . .

وتوفيت فشيّعوها بجنازة بسيطة جدا . إذ كانت العادة
جارية حينئذ بأن يدفع أهل الميت للنسوة اللاتي يشتركن في
الجنازة قطعة من فتمة السولدي أو الليرة

أرسلونا أنا وأرنلدو يومئذ إلى حقل « يولا » فيما وراء
النهر حيث كانت خالتنا « فرنشسكا » تفلح الأرض ، فسرنا لساعتنا
يرافقنا صوت ناقوس كنيسة « سان كسيفر » برناته الحزينة
كان صباحا صحوا هادى الشمس ، وكانت الكروم قد آن
وقت جمعها فصف الفلاحون البناني والبراميل أمام بيوتهم
استعدادا للجمع ، وكان ناقوس الكنيسة يدق دقاعريضا وسط
سكون الوادى فيهز الهواء ويهز نفسينا ، نفسى طفلين لم يعودا

يجملان الألم والموت . لم نجد جدتنا في البيت عندما عدنا بعد ذلك بأيام قلائل وألفينا سريرها مفكوكا وحشيتها مفرغة من ورق الذرة التي كان يملؤها ، ومرير منمكة في الغسيل . ثم أقبلت على والدتنا وهي أكثر شحوبا وصمتا مما كانت

كان « ارندو » في عامه الحادى عشر فقد ولد في ١١ يناير سنة ١٨٨٥ لسنتين من ولادتي ، ولم تستطع والدتي أن ترضعه لضعف قواها بعد مولدى فهدت به إلى حضانة فلاحه من بيت « جيانى » القائم على مسافة كيلو متر من « ملدولا » على يمين النازل إلى « فورلى » . مازال ذلك البيت القروى قائما حتى اليوم ، ولكنى لا أعلم هل تقيم به نفس العائلة التي كانت بينها وبيننا قربى من طريق جدنا عن والدتنا لبيت « جيانى » هذا دور هام في تاريخ حادثة ارندو وحداتى ، فقد أقام فيه هو بضع سنين وأختلف منه إلى مدارس « ملدولا » الاولى . وكنا نسير اليه بعد ذلك معا كل عام في آخر أحد من أغسطس لمناسبة تشدين عذراء الشعب المشهورة وتنزل يوما أو يومين على عائلة « جياتى » كضيفين أو « كقريين » كما يقولون في « رومانيا » .

كانت والدتنا ترافقنا أحيانا في هذه النزهة ولكننا كنا نذهب غالباً وحيدين وعلى الأقدام . فكنا نسير من « دوفيا » في الساعات الاولى من عصر السبت ، وعلينا ثياب الأحد ، ولا زلت أذكر ان الحماكة كانوا يعملون حيثذ في منازل زباتهم ،

وكنا نصعد سريعين في المنعطفات التي لا تزال قائمة حتى اليوم،
 ثم في التل الذي تشرف عليه صخرة « كميناتي » . وهنا كنا نقف
 دائما وتأمل من جديد في منظر السهل ثم نهبط ملدولا من
 الطريق القروي ونشاهد « الروكي » ، القديمة التي كانت تؤثر في
 نفسينا دائما تأثيرا عميقا . كان أولاد بيت جيانى وهم أبناء خؤولة
 بعيدة لنا يرحبون بنا في منزلهم بمودة خاصة وكنا نسير معهم
 في الحقول ونبحث عن تباشير حب العنب الناضج أو نقف
 خلف مخازن التبى وتأمل بدهشة البطين صف رمان بجانبها
 بينما يغص الجرن بعربات كثيرة تأتي بفروع أخرى من العائلة،
 حتى إذا ما كان اليوم التالى ، يوم الأحد ، ذهبنا جميعا إلى القديس
 فى كنيسة العذراء واستمعنا إلى عزف موسيقى البلدة التي مازلت
 أذكر أحد ألحانها من تأليف روسيني . ثم سرنا عند حلول
 الساعة الحادية عشرة فى الطريق العامة ، وهى تعج بالحركة والجلبة
 وروائح المطابخ المتعددة المقامة فى العراء ، وذهبنا إلى السوق
 فيما وراء القناة لنشهد الراقصين فى الهواء الطلق . كانت التختات
 تتألف حيثئذ من منفاخ واحد أحيانا ، ولكن أشهر تختات
 « رومانيا » كانت تبهج القلوب فى سنوات الجمع الجزيل مثل
 « زنجيرى ملدولا » و « زكلين تشرينا » و « اسمى ترانورا »
 وهما عازفان ماهران جدا على الكمان . وكنا نجتمع إذا ما حل
 الظهر على عرض الطريق المغبرة . إذ لم تكن السيارات والاسفلت .

معروفة حينئذ ونجلس إلى المائدة وعليها أطعمة ونبز وفيرة ،
ثم نعود من جديد إلى المدينة في الساعة الرابعة لنتمتع بأجل
مناظر النهار وقعا في نفوسنا ، مثل سباق الخيل من محطة الترام إلى
مرتفع يولا ، أى على كل الطريق (الترام البلجيكي العادى الذى
خلفته السيارات الآن) . لا زلت أذكر غوغاء الجمهور الذى
كان يفسح للخيل قبل مرورها ببضعة أمتار ، فيثير دهشتى .
وأذكر شرر حدائدها وقرقتها على بلاط الطريق ورجوع
الحصان الفائز ظافرا ، ثم ما يعقب ذلك من رقص وشرب وغناء
يستمر حتى صلاة العشاء .

كان منظر السوار يخ أ كثر مناظر المساء استهوا و بهر الى حينئذ
فقد كانت عدد الألعاب النارية تنصب فى الميدان الرئيسى
بجانب ثكنة البوليس فيحيط بها جمع غفير يعقب بصيحات
الخبور اندلاع نيرانها وانفجار الالغام العاطرة الذى كان يتخللها
ثم اشتعال الصلبة الرئيسية التى كانت تتوج المنظر وتستمر
طويلا فى ألوان عدة يتوسطها اسم مريم العذراء الذى كان يؤثر
على الحشد و يعود بهم إلى غاية العيد الدينية بعد لهو النهار و شربه
واستهتاره .

كان الميدان يعود بعد ذلك الى الظلام . وكنا نحن نقفل
على الاقدام إلى بيت جيانى معلقين على ما رأينا . وكان لويجى
تقريننا يحاجينا قبل أن تمام ، وفى اليوم التالى كنا نعود إلى دوفيا

من نفس طريق المجيء ونقص تفاصيل ذلك العيد - في شيء من التعب والذهول - على أصدقائنا وهم : دوناتو امادورى ، من بوتيرولا ، وروموالدى فلزانيا ، وكباننيو . وقد مات هذا الأخير وآخرون أصغر منهم سنا .

كنت أنا مع وقتئذ مع ارندو في غرفة واحدة وسرير حديدي واحد من صنع والدى وعلى جوال محشو بورق الذرة فكانت لنا حشية سواه . وكانت شقتنا تتألف من غرفتين في الطابق الثانى من وكالة « فارادو » ، ندخلهما من الغرفة الثالثة وهى مدرسة والدتي . كانوا يستنفعون بغرفتنا كمطبخ . وكان بجانب فراشنا صوان من خشب أحمر يحوى ثيابنا وأمامه قطر مقوس خاص بكتب وجرائد قديمة كنت أتصفحها أنا وارندو في هذه الغرفة . قرأت القصائد والمجلات الأولى مثل « العصر » الذى كان يصدر حينئذ في جنوفا وبين هذه الأدراج قمت يوما باكتشاف ملائتي فصولا ودهشة وتأثرا ، فقد عثرت على خطابات الغرام التى كان والدى يكتبها إلى والدتي وقرأت بعضها . كانت نافذتنا أمام السرير وكنا نرى منها « ربي » والتلال والقمر وهوىطل من خلف فردينانو . وكانت على الجانب الثانى لسريرنا قصعة العجين وعلى قرب منها الموقدة وهى تكاد تكون خامدة دائما . كان والدى ووالدتي وادفيجانيامون في الغرفة الأخرى ، وبها أثاث يتألف من صندوق كبير وصوان ضخمة من الخشب

الأيض تبدو للعيان من فوقه تسعة ملفات من القماش لثيابنا ، كانت والدتي تفخر بها وتغار عليها بنوع خاص ، ثم مائدة وسط كنت أدرس عليها . وقد طالعت عليها بعد ذلك بقليل مطالعاني الأولى العامة من « أخلاق الواقعين » لـ « روبرت واردنجو » المنشتر حيثنذ إلى « تاريخ الفلسفة » لـ « فيورنتينو » ومن « بوسام » « هوجو » إلى قصائد « المنزوني »

كان أرندلو يراقبني في لعبي ووقائعي خصوصاً في الصيف . أما في الشتاء فكنا نقاسي البرد في بيتنا المدخن ، ولا نلهو بعض اللهو إلا بالثلج . كان البؤس حولنا بالغاً أشده وكانت الناس تقرضنا الخبز والزيت والملح . وكان العمال إذا ما اشتغلوا نالوا ٢٨ سولدي عن نهار بأسره وكنا نرى أحداثاً ظلت مطبوعة في ذاكرتنا وذكرتها أنا لأرندلو غير مرة فيما بعد . ومن بينها رحيل المسافرين إلى البرازيل . مناظر تؤثر ودموع . لازلت أذكر منها نزول المسافرين مساء من السلم المضاء إضامة رديئة بمصاييح البترول ، وقد أثقلت الاجولة الضخمة أكتافهم وأخذ أقاربهم يصيحون عليهم من الشرفة مودعين . لم تعد أغلبية هؤلاء المهاجرين وكثير منهم من مات في مزارع بناس جريس . كان الصيف فصلنا المحبوب فقد كانت دراستنا تنتهي فيه وكانت والدتنا تخلي قاعة مدرستها لتستقبل القمح قبل أن تدرسه الآلة التي كان والدي أول من اشتراها ، وكنا نحن نسعى في أثر

الأوكار والفواكه وترصد تباشير الأثمار الناضجة على الغصون ونسير إلى النهر سيرنا إلى غرضنا المفضل . كان ارندوينم عن طبيعته منذئذ ، فقد كان أهدأ وأطيب منى بكثير جداً ولا أذكر أنه تسبب مرة في مشاجرة واحدة بينما كانت ألعابي أنا مع رفاقي تنتهى بمصارعات لارفق فيها . كان ساكناً حليماً . وكان يحالسنى وينصحنى ويعاوننى فى الإصلاح من شأنى حتى أتقدم إلى والدنا من غير أن تصبنى صفعاته . إنتى أكتب هذه السطور وأنا أنخيل النهر والسيلى والطريق والبيوت وبرج سان كسينو وأقرانى والمرتفع الذى كان يصعد من الطريق القروية الى « فارانو » ثم جامعات الصيف وألعاب الورق الشتوية على طريق « تشيرتو » تلك الألعاب التى لم تكن تنتهى والتى لم نكن نكف عنها إلا عند وصول الصحف المزدانة بصور حرب افريقيا . فذكريات حدائى مرتبطة بأسماء مكالا وتوزلى وتاتيو وامبالاجى والقائم مقام جليانو .

كنا نتغنى حينئذ بأغان تصلنا من بعيد وقد نجمت عن أحداث دموية أثرت فى نفوس الشعب . كانت هذه الأغانى من لحن واحد غالباً . وكان الفلاحون يتغنون بها بصوت حلق فى أسواق الاثنين بفورلى والثلاثاء بملدولا والخميس بفورليمبول والسبت بتشرينا ويحفظونها ويفشونها فى القرى ، وكانت إحداها تدور حول مقتل غيرة وقع فى « فورنى » ومطلعها :

كان في كفر « رفلدينو » الذي يسكنه غليوم المسكين . . .
 غليوم فازى حلاق قتله منافسة على باب حانوته بطعنة
 من سكينه . كنت أنا وارنلدو تتغنى بهذه الأغاني وكنا متأثر
 للموسيقى تأثراً شديداً . وكنا نحب الرقص ونعجب أيضاً بالفتيات
 من سننا فنعود معهن غالباً إلى بيتنا بعد تدشين خورياتنا القروية
 ولكن ارنلدو لم يكن على شيء من تهوري في هذا الميدان أيضاً
 كان أكثر هية ورقة ولا يزال أهل « بولا » يذكرون شغفه
 الشديد النقي وهو لا يزال مراهقاً بشابة صغيرة ماتت بمرض
 عضال فألم لها ارنلدو ألماً شديداً . ورأته الناس يوم حملها إلى
 المقبرة — يتبعها موكب طويل من فتيات لابسات البياض —
 وهو يحول على المرتفعات بين بيوت « يتوبلر وسودى » ويبكي
 قانطاكاً لو انقطع كل سبب بينه وبين الحياة . ولا تزال نسوة
 « برديو » القديمة يتأثرون لهذه الذكرى حتى اليوم

يشير موسوليني بعد ذلك الى اعمده الحرب العظمى واشترك
 فيه فيها ثم ينقل بعض مذكراته ومنها :

٢٨ يناير — اتى ابلو الحياة العسكرية وأحاول أن أعيم
 بمخاطباتها . الواقع أن الحياة العسكرية ، اذا أحسنت ، تمطل
 الشخصية وتنبه في أغلبية الناس الفطنة والارادة والنشاط

إن النظام والترتيب والاحترام والعمل المستمر قوى حيوية
 يجب أن يستغلها الانسان

ونشئ الحرب ويعود ارندو لمساعدة متقيد في مهارة السياسة
الجديدة وانز با كبر أنجاه بمرض فجأة ثم يموت :

بدأ قلب ارندو يتحطم أثر موت ولده وأخذ الموت يدب
اليه منذ ذلك اليوم وهكذا حتى أواخر عام سنة ١٩٢٩ . ونزلت
عليه في ربيع ١٩٣٠ فوجدت ولده قائما ولكنه كان أكثر
هزالا منه في سابق أيام حياته وشعرت في داره الجديدة بجو
قلق وانشغال إذ كان الموت جائئا في جميع أنحاءها

يرصف موسرينى مائة أخيه بعد الوفاة فيقول :
دعوته لزيارتي في روما فلي الدعوة ونزل على ضيفا في
داره تورلونيا خلال ذلك الشهر الأخير من الصيف فاصطحبه
غير مرة إلى البحر وانتقلت عائلته بأجمعها الى روما في الخريف
ثم أصابه المصاب الأكبر أثناء الالم وبعده . ولم لا أصرح بهذا ؟
لقد أصاب الفاشية الميلانية بين صيف ١٩٣٠ وخريفها
وبعد التطهير اللازم شيء من الفضيحة فسر أعداؤها وانتصر
أتباع « كاتونا » ولكن هل يعلم الايطاليون من كان الاخلاقي
« كاتونا » ؟

لقد كان لهذا الثعلب قصد ظاهر فمن لم يكن يملك الملايين
حينئذ أن وصية ارندو المنشورة بتأمرها في هذا الكتاب حتى
ما يتعلق منها بشؤونه الخاصة أو المادية صفقة شاملة لكاتونى
البارحة وبعض ثعالب اليوم . الملايين ! لقد قلبنا كل شيء وفتننا

جميع الادراج بما فيها الخزانة الحديدية فوجدنا — كما هي
في الواقع وكما يستطيعوا الذين أجروا البحث أن يشهدوا
بها — ١٣٠٠٠٠ ليرة — مائة وثلاثين ألف ليرة . هذه هي
الاموال النقدية . أما العقار فيقتصر على شقة يدفع لمجارها
أقساطا في منزل مشترك !

القسم الثاني

بعد الحرب

الصحفي والكاتب

وتفج الثورة الفاشية فترك موسوليني ادارة مدينته الى اخيه
وينقل الى روما ويعتصم بالحكم :

وهكذا كنت أترك الجريدة التي أنشأتها والتي كنت أحبها
حتى الكلف لأنها كانت الوسيلة التي حشدت بها إلى الحرب
طبقات الشعب الايطالى المختلفة ، لأنها كانت فى أيام الحرب ..
— ولا سيما بعد اكتوبر سنة ١٩١٣ — شعلة الرجاء للملايين
من المقاتلين والايطاليين

كان ترائى — وأستطيع أن أجزم بهذا دون خجل أو
تواضع زائف — ترائيا ثقيلا على خليفتي مهما أوتى من مهارة،
صحفية وخبرة واسعة وهذا لسييين مهمين جداً :

أولا — لأننى كنت قد طبعت جريدتى عن طريق آلاف
المقالات والعناوين والمذكرات والرسوم التي أوعزت بها ،
بطابع مجادل ، محارب ، فى غير مهادة ، وهذا الطابع من
ملكائى التي تبدوا الآن فى ميادين أخرى للمجادلات ومعارك
أشد خطورة . ثم اتى كنت قد عودت بضع مئات من الايطاليين
على أسلوبى وهو ابن فطرتى الطبيعى والشرعى ، ومن ثم لم
أستطع يوما أن استره بأسماء مستعارة أو بوسائل أخرى ..

وعودتهم على طريقي في الكتابة وهي نتيجة ما لا يقل عن عشر سنين في معارك صحفية سابقة بسويسرا والنمسا وفورلى وأوتليا وميلانو . في صحف يومية وأسبوعية ومجلات ، عند ما صرت « شيئاً » في الحركة الاشتراكية الإيطالية قبل أن تميل بها الحرب . إلى الزوال ..

ثانياً — لأن آخر أكتوبر سنة ١٩٢٢ كان يأني معه يده عهد جديد في تاريخ إيطاليا ، عهد أصبحت فيه « شعب إيطاليا » جريدة النظام القائم ، وأوثق السنة حال الحكومة ، ولم يكن لأوضاع البارحة المهاجمة المجادلة أي مبرر للظهور بعد أن انتصرت الثورة . لقد استمرت بعض الأحزاب والجرائد المعارضة حتى سنة ١٩٢٦ ولكنها لم تكن جميعاً أكثر من أنين منفرد . ولم تكن حتى سنة ١٩٢٤ أكثر من قائمة كلمات جوفاء ضخمة . وجد ارندلو لذلك نفسه أمام خطرين : خطر الرغبة في تقليدي ، وهذا ما كنا لا نريده ، نظر التغير النظام الحكومي إذا أغضينا أيضاً عن شدة صعوبته . وخطر صبغ « الشعب » الإيطالي ، بصبغة صفراء وتطعيمها بطعم إداري ربما بعث خصومنا على البحث عنها ، ولكنه كان يبعدها عن الجماهير التي قامت بالثورة ، وهذا أمر لا يقل فداحة عن الأول أدرك ارندلو من أول وهلة ان قد كان عليه أن يصدر جريدة تكون تنمة جريدة البارحة المنطقية والتاريخية ، ولكن

بلهجة مختلفة ، أى بملامة الجو الجديد . وقد توقع الحثباء الذين يقومون دائماً على هوامش جميع الأعمال الانسانية اخفاقه ، وأفشوا فى السواد خلال الشهور الأولى اننى كنت أكتب المقالات بأسلوب أتعمد فيه اللين ، ولكن أحدا لم يصدق هذه الاشاعة ، وعندئذ ظنوا انى كنت أضع الرسم لارندلو ، وأترك له انشاء العبارة . والحقيقة هى اننى أسديت ارندلو فى الاسابيع الأولى نصائح ذات صبغة فنية أكثر منها سياسية ثم أرسلت اليه فيما بعد — بين الفينة والفينة — بعض مقالات فى مواضيع مخصوصة . كالمواضيع الشعبية عرفت الناس فيها سريعا بضاعتى القديمة ، وأخيرا تركت له الحرية المطلقة فى عمله الصحفى منذ ٢٤ فصاعدا .

يشير موريلينى بعد ذلك الى اسلوب اغيه فى الكتابه وهو كما وصفه بنفسه مبنى على : « إبعاد النعوت الرنانة ، وتشديد الاسلوب المقتضب مع ملائمته للواقع ، وتنسيق النتائج مع قضايها ، والتعبير عن الحياة العملية تعبيراً أميناً مطابقاً للنظرية والمذهب الفاشستى ، والملاينة فى التحدث عن مبدأ الفاشسية الذى قدم ضحاياه ، وعن شعاره الذى يسمو على الجميع ، أما الأخبار فيجب ألا نخشى الكتابة فيها ، بل يجب أن تكون غنية غزيرة حديثة ، تتعلق إن أمكن بأفضل طبقات الانسانية . بالطبقة التى تفكر وتحيى وتنعش للأشياء الجميلة ، بالطبقة التى ترتفع إلى ما فوق

المستوى العادى وتحلق فى صفاء الافكار وأعمال الخيرات
لا بحوادث الانتحار أو الحوادث الأخرى التى تتعلق بكائنات
حيوانية ساقطة .

ونحنتم موسولنى هذا الباب من كتابه بقره : لقد استحق
ارنلدو أن يكتب على قبره « صحفى الثورة » وصحفى بمواهب
الصحفى الكبير . بسهولة الكتابة قبل كل شىء ، فالجريدة مقيدة
بحياتها اليومية المؤقتة وبالتقلبات التى تقع يوميا فى العالم ،
بأسلوب لا ينفك يضح ويتناسق ويصفو حتى ليستطيع أن
يدخل بمقالات عديدة جدا فى أحسن مأنور النثر الايطالى ،
وهو ظاهر دائما حتى فى المقالات الدائرة حول مواضيع عادية
لضرورة الأشياء أو الجدل ، فهو زجر مؤدب وهو مجهود يرمى
إلى ترقية القراء . وهذا هو ما يفسر لهجة محاجاته وانعدام
الشخصيات الذى يكاد يكون تاما فيها . تلك الشخصيات البغيضة
على نفسه والتى كان فى وسعها أن تهبط بالمستوى الخلقى لأسن
وأعظمهم صحفى النظام الحاضر .

كان ارنلدو يضع نصب عينيه دائما مسئوليته كمدير جريدة
أسسها - لا أخوه - بل الرجل الذى كان غفورا بطاعته كمؤوس
له . كان ينبغى لجريدته أن تكون جريدة أفكار وترية ، وقد
كانت . هناك أمر ثبت نجاح الصحفى بطريقة لا تقبل النفيده ،
وهو انتظار القراء لمقالاته . وقد كانت مقالة ارنلدو منتظرة . كان

ينتظرها في أول الأمر من كان يريد أن يرى فيها إيماني . وكان ينتظرها بعد ذلك من كان يقدر قيمة مكتوبات ارندلو الذاتية ومادتها وأسلوبها ولكن ارندلو يبلغ أوجه خصوصاً بعدما ساء سندرينو فيرتقي من صفوف الصحافة إلى مصاف الكتاب . هذه ميزة لا ينالها إلا القليلون . فن الصحفيين من لن يكونوا يوماً كتاباً ، ومن الكتاب من لن يسعهم أن يصيروا صحفيين لأن العمل الصحفي عموماً مقيد لحد بعيد بالواقع لا يستطيع أن يقدم عليه سباحات الأدب . ولو انه لا شك في ان الصحافة تستطيع أن تروض العقل كما يعد الملعب الرياضيين ، فيصير الصحفي كاتباً عندما يوطن نفسه ، عندما يبدأ يرى الأشياء لا في هيئتها السينمائية المائلة ولكن في هيئتها المدلولة ، عندما يطرق برأسه ويفكر في المسائل الأصلية عندما يحمله إلى القمة ألم قاس ، كما هو الأمر في حال ارندلو فيشعر بخلوص نفسه من الأغلال التي كانت تقيدوها إلى البسيطة ويتنفس في جو الأشياء اللانهائية الخالدة . فتنتهى صحافة الجريدة اليومية ويبدأ الشعر . شعر الحب والموت ، شعر الأمل والاستسلام ، شعر الحياة الدنيا وما بعدها من إغراء وأسوة .

ربعت موسرليني صوره نظريته هذه بالمذكرات الاتية التي كتبها اخوه اثناء رحلته في ليبيا :

لقد رأيت الأرض هذا الصباح ضاحكة

واستنشزت رائحة الثرى الحديدية الشديدة
بعد أن لفحته الشمس . .
ورواه الغيث الخصب
لقد كانت الاشجار تبدو كأنها خارجة من حمام عيد إلى
وهج الشمس .

تمد فروعها وذراها وسيقانها نحو السماء
تحمد وتبارك سحب خفيفة جافة
نحو أراض أخرى نائية
هكذا أود أن أستيقظ بغتة ذات صباح
فأشعر من نفسى خفة بعد أن أقعد ادران المادة
وأشعر فى نفسى قربا من الكائنات العزيرة بعد أن تخلص
روحي إلى البطاح الخالدة
فلا أصدق الشر ، وأبتهج صاعداً وأعاقق فى قوة إخوتى
الذين يأملون ويأملون

وأعتقد فى القوة التى تسود ، والفكرة التى تضىء العالم
إلتى أسمى بنفسى إلى الأعلى
سمو السيقان والاشجار نحو السماوات !
ولكن رغائب نفسى تجفل هى الأخرى مثل السحب نحو
بطاح نائية ،
أعاقق اخوتى الذين يأملون ويأملون

هاهى الفكرة السائدة بين أفكار ارندلو فى كل حياته وعلى
الأخص فى أيامه الأخيرة

أيام مأساة . مأساة لا يستطيع أن يفهمها حق الفهم إلا
« المعقبون » الذين لهم أبناء . يرفع موت سندرينو نفس ارندلو
إلى أوجها الكامل . فليس عندما يكتب عنه بعد سنة من ذلك ،
فى كتاب أهدها إلى بعض المخلصين . يلس فى صفحات ذلك
الكتاب حد الجمال والعظمة القصوى . اننا نستطيع أن ندعو
وسندعو هذا الكتاب الصغير الذى لا يستطيع أحد أن
يقرأه دون أن يقاسمه ألمه باسم « نحب الحب الابوى » اتى
أظن أن ليس فى الأدب الايطالى كثير مما له ما يضارع هذه
القوة المؤثرة ، ومثل هذا الشجن المسيحى العميق . فليس هذا
الحوار بين الأب الحى وابنه الميت مؤثراً تأثيراً مدهشاً فى مادته
فقط ، ولكنه تام وكامل الاسلوب تبدو فى أول صفحاته
فكرة الخير « أبوك يكتب لك . اتى أرى فى الظل والسكون
حركة تمنع منك لا تلمع . ولكننى أتغلب على أنفثك ، واتكلم
عن حياتك المنيرة على الرغم من شدة قصرها . وليس يدفعنى
إلى هذا زهوى الابوى المتألم الذى ضرب هذه الضربة القاسية
ولا عزة نفسى التى طعنت وقوضت ودثرت ، ولكن خالص
اقتناعى بواجب أعلى من ذلك . فأتى أشعر أن قد ينشأ - ويجب
أن ينشأ - من ألى هذا خير عظيم . أشعر ان فى وسع ألى

الأبوى المغلق أن يصير تنع نعم وخيرات جزيلة ١١

يقص ارندلو بعد ذلك باجمال حياة سندرينو في أعوامه الأولى ويذكر تقلباته الهائلة بين قرار الأطباء الأول الصارم وما تلاه من آمال متجددة أعقبتها دائماً أمر الحيات . وقد ابتدأ عذابه في ٣ أغسطس سنة ١٩٣٠ . ولكن هاكم الصفحة التي تكلم فيها عن آخر أيام ولده . ها هو ذا في نبرات تكاد تكون غير دنيوية دعاؤه الذي لم يستجب .

« سجدت حينئذ وقلت : إلهي ، أنقذ سندرينو ، فهو صالح ، طاهر . لم يقل يوماً كلمة جارحة ، ولم يهمل شرائعك ، لقد أحب أبويه ومعلميه ، رفقاه وجيرانه . ولم يتقهقر أمام أية صعوبة كائنة ما كانت . لقد كان تواضعه دائماً كريماً أنفاً . لقد أحب الوضعاء . ولم يقترب يوماً ذنباً . أنقذ سندرينو يا إلهي فهو عماد الغد وشرف بيتنا وخيره . لقد دعاه عرافه قديساً . خذني يا إلهي . ان وجدت ذنباً ينبغي أن تكفر ، كفى ، شوهني ، شلني اقبضني إن رأيت في موتي رحمة ولكن أنقذ سندرينو . لقد عشت طويلاً وهو لم يتعد العشرين . لقد شهقت أخته الصغيرة . هذا الصباح يبكاء شديد أمام صورة المسيح ! واعتكف أخوه . فيتو في ألمه القائم فأقلقنا جميعاً . أنقذ سندرينو لهم ولأهم أيضاً . أنقذه لجميع الذين يسألونك رحمتك ، للآبرياء الذين يدعونك ، لجميع الذين يرفعون نحوك الأمنيات والنذور من مختلف أنحاء .

إيطاليا . أفقذ بنى يا إلهى أنه سيحترم قانونك الإلهى وقانون بنى
الإنسان الأخلاقى . بيد أنتى شعرت أن دعائى لن يستجاب
وبزغت الشمس تتألق صباح الأربعاء ٢٠ أغسطس ولكنى
رأيت فى سرعة وتأثر سحابة سوداء فى الأفق بينما قال لى الطبيب
« أنه يموت ولا يتألم »

ويقص الأب على ابنه الميت أطوار نزعته فى صفحات تقشعر
منها الأبدان ثم يصف له جنازته ودفنه فى بدرنو .

« ولكنك تريد أن ينبعث من تلك المقبرة البسيطة نور
دائم ، نور أيمان وخير ، يجب أن يتحول أملك بأسره الى أعمال
خيرية . فلعل الله أذن من أجل هذا فقط بهذه المأساة التى
قصفت حياتى »

ولقد رأيت أنا الذى حضرت أيام المرض الأخيرة ووصلت
الصباح التالى للوفاة ورأيت سندرينو راقداً ، بارداً ، هادئاً -
بينما كانت الشمس تلهب الحقول والبحر والدور الصامتة - أنا
الذى عانقت أرندلو المتهمض ، المتغير ، الغائب ، البعيد ، رأيت
أن مصيئته لادواء لها وأن كلمات العزاء لن تجدى شيئاً وأنه ليس
بينه وبين الحياة سبب ما . ليس بينه وبينها أى سبب لأنه كان
يتلطف للحاق بابنه المفقود ويثق من اللحاق به .

وبشير مرسولينى الى بعضه فخطب أمني ثم يقول
ولكن أرندلو يرتفع الى هجير حريته التامة وقوته العقلية

والروحية على الاخص فى نشاطه الصحفى منذ سنة ١٩٣٠ وفى الخطب التى ألقاها فى الأشهر الأخيرة من هذه السنة. فلا يعود أحد حتى أكثر خصومه مكرراً أو أشدهم خبثاً - يصدق أقصوصة أرندلو - مترجم بسيط ومذيع - مكبر صوت الزعيم .

ويصير أرندلو شيئاً . يصير غير قابل لللبسة . كونه الدرس والخبرة . وقواه الالم ثم رفعه وقاده الى أرفع الأفكار وأعماها انسانية . فيخلب أرندلو لب الشعب الذى يسمع له ويمتلك حواسه فى خطبة « فاريزى » فى نوفمبر وعلى الاخص فى خطبة ديسمبر ، وهى الخطبة التى ألقاها فى مدرسة « الفلسفة الفاشية » فى ميلانو ويؤثر على من يراه تأثير رجل عاش وألم طويلا حتى ليستطيع أن يقول - بضمير هادى - الكلمات التى من شأنها أن تربي وتحفز الأجيال الجديدة . وهى كلمات كالآتية خليقة بأن تحفر على جدران قاعات المدارس والملاعب ومراكز الحزب : « يجب أن تحتقروا الحياة البسيطة ، ألا تسقطوا فى السفالة ، أن تعتقدوا فى الخير اعتقاداً ثابتاً . أنكم سوف تكونون حينئذ أقوى نفوساً أمام ويلات الحياة التى لا مناص منها . وستشعرون اذا قرع الالم بابكم أن نفوسكم مستعدة لمجاهدة تقلبات الحياة . فلتقربوا الحقيقة منكم دائماً ، ولتعتمدوا على الخير الكريم اعتمادكم على الخلل الوفى . فان مثل الشعور الدائم بالشباب وبامتلاء النفس بهذه الحقائق العليا كمثل التمتع بنعم سماوية . بهذه الطريقة فقط

تستطيعون أن تكونوا مستعدين للحياة في رفعة والموت في رفعة هـ
ألم يسمع شباب مدرسة الفلسفة المستمعون ، في هذه الكلمات ،
مثل نذير وفاة على الأبواب ؟

هذا هو الأثر الذي تركه أرندلو في نفسى حينما رأيته آخر
مرة في روما . وكان قد نزل على من جديد في نوفمبر المنصرم
فكتبت في يوميتى بتاريخ هـ هذه المذكرة وفيها هذه النبوءة :

أخى أرندلو لا يزال يألم ألماً شديداً وأنا أتألم كلما فكرت
فيه . أنه يبدو لي أحياناً وكأنه مستغرق في ألمه ، غير مكترث
بالعالم . ألقى أرندلو آخر خطبة - والنبوءة هنا أوضح من ذى
قبل - حتى لتكاد تجعل منها خطبة عشية الوفاة قبل أن يتردى بأربع
وعشرين ساعة فأطرى مرة أخرى على التعاون بين الضعفاء
ومعهم وحث على عمل الخير . وهذه الكلمات الأخيرة ترتبط
بنص الوصية الروحية التى قرأها الايطاليون وتأثروا لها تأثراً
عميقاً رغم انحطاط هذا العصر الاخلاقى وبؤسه المادى ورغم
الزندقة والأثرة التى يكثر ستر أصحابها لها أو يقل .

اتى بعيد كل البعد ، بعد مطالعتى هذه الأيام للمكتوبات
الآخيرة وللخطب التى ألقاها أرندلو خلال تسع سنين - عن
تقرير نبوغ جميع ماخرج من يراعه . جميعه . كلا . جميعه قد
يكون مستجيلاً . فجدد الصحافة سريع لا يستطيع الانسان أن
ينال معه كل يوم قطعة نادرة ولو صغيرة وأكبر القصائد نفسها

ليست رائعة في كل أبحاثها . ومن الشعراء من مر الى الخلف
برجز صغير ومن الكتاب من برواية واحدة . ولكننا لو فرضنا
أن لجنة من النقاد المتطرفين انتقدت مقالات أرنلدو الآلاف
وخطبه المائة نقداً شديداً فانتى أظن أنه سوف يبقى منها ما يكفي
لإثبات حكمي ، الذي لم يمله جبي الأخوي، وهو أن أرنلدو
كان حتى الآن صحفي ثورة القمصان السود الكبير الذي لم يفقه
أحد . وأن أرنلدو لم ينس يوماً حتى في أصغر المقالات وفي
النبد وفي التعليق على الأخبار وفي كل ما يمثل الجزء الثافه من
الصحافة ، لم ينس اللهجة المؤدبة ، تلك اللهجة التي ترفع من
قدر المهنة وتجعل منها شيئاً مختلفاً اختلافاً جوهرياً عن مجرد
التجارة في أخبار وورق مطبوع .

الشقيق والرجل

بأنى مرسلينى بعد ذلك على بعضه خطابات أخيه ثم يقول :

لا يمثل كل ما نقلته هنا إلا جزءاً ضئيلاً جداً من المعونة التى قدمها ارندلو لى . هذه المعونة التى سرت فى أشكال عديدة أخرى لا فى ميلانو فقط ، بل فى روما أيضاً ، لا فى إيطاليا فقط بل فى المستعمرات ، لا فى الميدان السياسى المحدود ، بل فى الميدان الاقتصادى والمعنوى أيضاً . ولقد يستطيع رجل السياسة أن يشك فى أكثر أعوانه أمانة ، وأن يرى حتى جحود ابنه له . ولكن الأخ ثقة . ولكن ارندلو كان النفس التى كنت أستطيع أن ألقا إليها بنفسى من حين لآخر فأجد فيها بضع لحظات من هدوء مار . هى اللحظات التى كنا ننشئ فيها على قبر والدتنا فى سان كسيانو أو نجتمع فى ٢٩ يوليو من كل سنة بمناسبة عيد ميلادى ، أو نصعد إلى روكى الكميناتى لننظر من أعلاها إلى الأماكن التى قضينا بينها خير أوقات فتوتنا ، ثم ينظر كل منا إلى عيني أخيه فى صمت وتفكر معاً فى ذلك الوقت الخلى السعيد الذى كان يحمل لنا فى صدره مصيرنا القاسى .

ويشير الى المعارضات السياسية التى قدمها اليه أمهوه الى انه يقول :
أنضج الألم ارندلو قبل أن يقتله . فكانت تتخلل مقابلاتنا

ومحادثتنا في الايام الاخيرة لحظات صمت طويلة . وكنا نجول في ممشى دار «تولورينا» دون أن ننفس بينت شفة . ولكننا كنا نفكر في نفس الفكرة فكرة «سندرينو» فكنت أريد ان اقول له وأقول له أحياناً تشجع . خفض عنك ، وقد كانت رحلته إلى ليبيا بأمر منى تقريباً . ولكننى لم أكرر في الالحاح عليه خوفاً من أن أبدو له وكأنتى قد نسيت عذابه الداخلى الذى لادواء له . ومرة عيد الميلاد فاقترحت عليه رحلة في البلاد البلقانية ولكننى لم أكن أخدع نفسى بنتائجها . فقد كان يعيش في حياة أخرى ولم تكن الحياة التى يحياها معى ومع الآخرين إلا حياة عكسية ، حياة انتظار لا غير .

والآن تزدحم في رأسى الاسئلة عن أسباب المحتم القاسية فكل منا مراد على أن يخدع نفسه بأن مجرى الاشياء قد كان يكون غير ما كان لو ان أطباءه أمروه بالراحة ، لو لم يقف هو يوم الأحد السابق لوفاته ساعتين بلا حراك في جو مثلج ليشاهد دورة «كرة قدم» ، لو أخبرت أنا بالمنغصات التى ألمت به في أيامه الاخيرة ولو لم يأمر هو بنفسه سكرتاريه بأن لا يبلغونى شيئاً عن عيادات الاطباء له . في استطاعة الاحتمالات أن تتعدد أيضاً : ولكن الحقيقة هى ان أعضاء ارنلندو الحيوية تحطمت منذ ١٥ نوفمبر سنة ١٩٢٨ ، ثم استمرت بقوة الدفع إلى ما بعد ذلك بستين . فكان الموت أرفق به من الحياة بعد

الآلم الشديد . وأخذته بغتة وحمله إلى العالم الآخر - في لحظة -
دون أن يعذبه .

كان ارندلو طيباً ، فضيلة الطيبة فطرية فيه ، طيباً وهذا
لا يعنى ضعيفاً فان الطيبة تستطيع كل الاستطاعة أن تتفق وأشد
قوى النفس وأصلب الميول الى القيام بالواجب الشخصى .
ليست الطيبة مسألة خلق فقط ، فهى مسألة تربية أيضاً . ثم
انها - فى سنين النضوج - نتيجة تصور العالم ، تصور تظهر
فيه العناصر المتفائلة على العناصر المتشائمة . لأن الطيبة لا تستطيع
أن تكون شاكّة ويجب أن تكون دينية . لذلك كان هذا النوع
الثلاثى من العناصر يحمل ارندلو على الطيبة ، فلم يدفعه اليها يوماً
أى حساب سياسى أو أى تلمس للشعبية . فقد كان عمل طيبته
متحفظاً شديد التحفظ . كان يرجو ألا يفشوا أعماله ، ويضرع
- وخصوصاً فى أيامه الأخيرة - أن ينجزوا كل شىء فى سكون
اتنى أشهر اليوم فقط ، من الخطابات التى تصلنى ، بأثر المدى
الذى اتخذه هذا الاحسان ، الذى لم يكن من النوع المادى فقط
فان مثل الجريدة كمثل شاطئ محيط تدفع الأمواج الهائجة اليه
قليلاً قليلاً كل من استعصت عليهم مشكلة الحياة وكل من آلمتهم
إيلاما لا تعرف فيه هوادة ، وفى وسع الانسان أن يكون طيباً
بتقديمه مساعدة أو باهتمامه بمركز أو بعثوره على مأوى أو بمجرد
قوله كلمة طيبة أو بتوجيهه لوما صارماً ، فكينونة الطيبة تعنى

أن يقوم الانسان بالطيب من الأمور من غير ابواق الاذاعة .
دون أمل في الجزاء حتى الالهى منه . الدأب على الطيبة كل الحياة .
هذه فضيلة تعطى مقياس العظمة الحققة في نفس من النفوس !
الدأب على الطيبة رغم كل شيء ، رغم الخدع التى ينصبها الخبثاء .
لسلام الطوية ، رغم جحود المنة والنسيان ، رغم عدم مبالاة .
المثقفين . ها هي قلة كمال أدبى يصل اليها القليلون ويلازمها
القليلون جدا ! الرجل الطيب لا يسأل نفسه يوما هل يستحق
عمله تعبهُ ؟ ويظن أنه يستحقه دائما ، فمساعدة المصاب حتى لو
لم يستحق ، وتجفيف الدمعة حتى الدنسة ، والتفريج عن البؤس
والتأميل للحزن ، والتعزية للبت ، وكل ما يعنى ان النفس
لا تعتقد انها غريبة عن الانسانية وانها تشترك فيها - لها ودما - .
يعتبر نسجا لاهاب المحبة بخيوط لا ترى ولكنها قوية تربط
الأرواح وترقيها . لعمل هذه الفضيلة كرس ارندو كل نفسه .
بعد وفاة سندرو . فهو لم يفكر بعد ذلك غير فكرة واحدة ولم
يعزم على غير أمر واحد . الاحسان لتكرّم ذكرى ابنه .
الاحسان للجميع ، اصدقاء وغرباء وأعداء أيضا . للشخصه . .
- فلعله لم يعاد احدا - بقدر ما كانوا ! الزمننا وظفّرنا . لقد كان بعيدا
جدا عن أن يقصد ما أرى الآن ولكن لا محل للشك في أن عمله .
هذا كان يفيد الفاشية أيضا .

كانت الفاشية تتخذ به شكلا آخر ، ولا تقتصر على شكل .

الثورة الشديد ضرورة . كان النظام الفاشي « يتبشر » بعمله
كان الحساب السياسى يترك مكانه لدافع القلب . ولم لايجرى
شريان الطيبة فى صحراء السياسة المجردة - ولو مستترا - ولكن فى
صفاء وافادة ؟ - ألم يخفف الاقوياء دائما وفى كل عصر من شدة
القوة بعمل الطيب . ؟ ولكن ارندلو لم يشأ يوما أن يكون « قويا »
كان يشعر بنفسه شعور المرؤوس والرجل «الوضع» . فهذه
الكلمة الانجيلية تطفرفى وصيته طفرا ! ألم يكن ارندلو يتحدث
عن الوضعاء فى خطبته الاخيرة ايضا - ٢٠ ديسمبر - قبل أن
يكف قلبه عن الخفقان باربع وعشرون ساعة الم يكن الحشد الذى
لا يحصى والذى اجتمع خلف تابوته دليلا على أن نفس الشعب
تحترم القوة ولكنها تحب الطيبة ؟ فضيلة الطيبة تأتى معها بسجية
أخرى هى سجية العفو . وقد كان ارندلو يعفو حتى - وقبل كل
شئ - عن الذين نغصوا عليه عيشه . وكانت تدفعه إلى ذلك
عقائده الدينية الدائمة العميقة . فقد كان ديناً . ولكنه لم يكن
يؤمن كما قال بنفسه فى آخر محاضراته بمدرسة الفلسفة الفاشية
« بالآله يدعى أحيانا ، لتصغيره ، باللانهاية أو الخليقة أو
الكينونة ، ولكن بالله مولانا خالق السموات والأرض ، وابنه
الذى سوف يجزى فى الممالك السماوية يومافضائنا القليلة ويغفر
لنا نقائصنا العديدة الملازمة لتقلبائنا الدنيوية »

ووصيته الروحية، وهى من سنة ١٩٢٨ ، تشتمل على اعتراف

بتدين لا يقل عن هذا رفعة وصراحة . وقد رافقته هذه العقيدة
في كل حياته . فلم تكن إذا بالعقيدة التي تأتي في ساعة الشفق
عند ما تضنى الأرض بنى الانسان أو تخدعهم فيذكرون السماء
ولكنها كانت عقيدة الحداثة الأولى . ثم عقيدة كل الحياة .
الاحسان باسم سندرينو ، هذا ما كان يبغيه ارنلدو بعد أغسطس
١٩٣٠ المشوم . وقد كان بين الأوراق التي وجدت في مكتبته
بقصر مرغريتا نسخة جيب من « العهد القديم » وورقة صغيرة
مكتوبة بخطه تقول : « أنظر مزمور ١٣٠ »

والمزمور ١٣٠ هو نشيد « الحجيح » ويقول :

من الأعماق صرخت إليك يارب

يارب استمع صوتي

لتكن أذناك منصتتان

إلى صوت تضرعي !

وبقدم مرسلينى بعد ذلك وصية ارندو :

هاهى وصية ارندو في صيغتها الكاملة كما ظهرت . لاحدى
تلك الصدف القاسية التي يلتذ القدر غالبا بضمها إلى مآسى الحياة
في كل جرائد إيطاليا - ما عدا « شعب إيطاليا » - بعد أن يتر
منها الجزء السياسى والفاشى الرفيع . وقد أردت أن أحفظ
بالجزء الأخير منها - أعنى الجزء الخاص - إلى حين آخر . لقد
قرأ آلاف من القراء هذه الوصية وقليل منهم على ما أظن من

استطاع أن يتجنب الأثر النيل المؤثر الذى ينبثق من نصها .
وهو نص مرتبط بحالة نفسية وبعقائد دينية عميقة لا بأحداث.
من نوع خارجي . ومصير وصية ارندلو - مصير لم ينجم في
غالب ظني - إلا عن اضطرابنا والمنا جميعاً في تلك الايام يحملني
على التصريح منذ الآن . لأن وفاتي أنا أيضاً قد لا تكون أقل
فجأة من وفاة ارندلو . اتى لم أكتب ولن أكتب وصيات من
أى نوع كان ، لا روحية ولا سياسية ولا خاصة . لذلك من
العبث أن يبحث عنها وليس لى غير رغبة واحدة ، هي أن أدفن
بالقرب من ذوى قرتي في مقبرة «سان كسينو» . ولعلنى أكون
سذجا جدا لو طلبت أن أترك في سلام بعدموتى . فمن المستحيل
أن يستقر السلام حول مقابر رؤساء تلك الانقلابات العظيمة
التي تدعى بالثورات ، ولكن أحدا لن يستطيع أن يمحو كل
ماقت به بينما ستحيى روحى بعد خلاصها من المادة ، وبعد
هذه الحياة الدنيوية الضئيلة ، من حياة الله الأبدية اللانهائية :

الوداع

ثم ينهى الكتاب بالفصل الاثنى

لقد بلغت النهاية ، وقرأت كل ما كتبت وها أنا ذا أسمع صوتاً يسألني : ترى هل تريدون أن ندفن ارنلدو موسولينى فى البنثون الذى يخصصه الوطن للخالدين ؟

كلا . قتل بدرنو الوعر الذى لم يكن يستطيع الانسان أن يصل اليه حتى البارحة تقريباً ، ليس بالبنثون . لقد ترك لنا ارنلدو فى وصيته مقياس نفسه ، ولئن لم نحترم رغباته الاحترام التام فن الواجب ان نتلس سبب ذلك فى حركة غريزية من شعب ربما كان ابعاده أو اهاته شيئاً مؤلماً جداً .
لقد كتب لنا فى وصيته :

« لاتطيلوا موكبي ، اقتصدوا فى تأييني ولا تسرفوا فيه .
وانا افهم عن روجه . وأعلم انه ربما كان أول من يحتاج لو اراد احد ان يرفعه الى قم الابطال والانبياء أو القديسين .
فلعله بلغ شيئاً من القداسة عن طريق الألم الطويل . ولكن الايطاليين - لالفاشيستين وحدهم - يكرمونه وسوف يذكرونه
لانه كان شيئاً ، لانه خدم النظام الحاضر والوطن فى عمله الصحفى والكتابى خدمة لا تقدر ، لانه لم يتطلع لشيء ، ولم يستغل اسمه للارتقاء فى سرعة ، ولانه لم يصعد قليلاً قليلاً الى الاعلى

بين شخصيات الطبقة الاولى من النظام الفاشستي إلا بعمله وعقيدته وطاعته لفكرته . لقد تألمت وسوف أتألم طويلا لموته . فبتر الروح كبر الجسد لا دواء له . اننى أشعر بألمى لذهاب . ارنلدو بيا أشعر بنار خفية سوف تراققنى دائماً . نار تغذى ارادتى وإيمانى ، اننى سأحمل له حمله هو أيضا ، كيلا يندثر كل عمله وعاطفته وألمه ، كي تكرم ذكراه ، كي تنتصر المثل التى آمن بها وتلدوم ، حتى وقبل كل شىء فيما بعد حياتى .

حياة سندرو موسوليني
بقلم والده ارندو

وضع ارثوذكسوسوليني هذا الكتاب عن حياة
ولده اثر وفاته . وقد رأيت أن اقتطف منه أياً ما
تكني للدلالة على أن القيام بالواجب القومى حتى
عن طريق الثورات العنيفة لا يتنافى مع الشعور
باسمى العواطف الانسانية وأعقها وان كان يحمل أحياناً
على تفحيتها وكتبها فى سبيل المثل العليا وان الحب
العائلى هو الاساس الاول لكل دولة قوية :

أبوك يكتب اليك . لمتى أرى فى الظلام والسكون حركة
تمنع منك لا تلح فبودك حتى فى الحياة الأخرى أن تحيط
نفسك بالسكون وأن تبعد باسمك عن الشهرة ، بل لعلك لازلت
تحب وحدتك المعتكفة ولا زلت تكره أن يعلم الناس عن
حياتك وأعمالك المتواضعة شيئاً ، هذه الحياة التى لا يمنعها
قصرها من أن تكون عظيمة فى نبلها وإيمانها .

ولكننى أنقلب على أنفتك وأكتب عن حياتك القصيرة
الطاهرة قولا يدفعنى إلى ذلك زهوى الأبوى المكشوف الذى نزلت
بهذه المصيبة القاسية ولا عزة نفسى التى طعنت وقوضت ودرثت
بل مجرد قيامى بواجب اسمى . لمتى أشعر أن جميع هذا الألم يستطيع
بل ويجب أن ينتج خيراً عظيماً . أشعر أن فى استطاعة عذابى الأبوى
المغلق أن يصير منبع رحمة واسعة . أريد أن أضرب بك المثل
يجب أن أجعل منك نموذجاً للنزاهة الأنفة والشجاعة التى

لا تنزعزع . أريد أن أقدم نفسك الجائحة إلى المثل العليا ،
نفسك الصوفية المهدبة ، إلى شباب العالم طراً .

ربشير المؤلف الى مولد ولده المتوفى ثم يتعمد اليه :

إننى أرى وأنا أكتب هذه السطور نظرتك العذبة الهادئة
الحزينة نوعاً ، لقد شهدت ولم تتعد السابعة من عمرك مأساة
« كبرتو » . ولعل صورة ذلك العهد البعيد المحزن لم تبتعد عن
غيلتك يوماً ، لعلك كنت تستطيع أن تكون صالحاً كريماً من
أجل ذلك : لأنك عرفت الألم والتضحية في صباك . لقد
كنت تحب الحق وكنت تقوله عفواً بحملا . وكنت تحب
الموسيقى فلا زلت أسمع ألحان بهوفن وأنت تنزععها من أوتار
معزفك ، وتحب إلى جانبها علم التاريخ . كان طموحك إلى
الاشياء الرفيعة العظيمة ينم عن تلك الميول ومن خلقك التام
المركب . كنت تصبو بعينيك دائماً إلى المثل الأعلى سواء في
الدرس أو الفن ، سواء في حبك للطيران أو في أحلامك
الروحية . وكنت تحمل بين جنينيك بشائر حياة نبيلة وعقل
راجح ، وطموح يبعث الدهشة السريعة في كل من يقترب منك
لقد امتازت المأساة التي أصابتنا إصابة لا أمل معها في
السلوى بطابع قاس ، فقد عمل القدر عمله في الخفاء ولازمت
مرضك ووفاتك وقائع تطبع هذه المأساة بطابع غير عاد .
لقد قضيت حياتك الدنيوية وأنت أشبه بالقديسين . لقد كنت

من عداد الممتازين من أولئك الذين ينشطون الحياة ويعيشون
 الآمال. لن أغفل هذا التراث العظيم فهو غرض كتابي هذا.
 ولكن هناك غرضاً آخر شخصياً يدفعني إلى الكتابة : إنني
 أريد في حديثي هذا معك ، أن أعترف إليك أنت الذي لازلت
 قريباً من نفسي ، بما لم أعترف به لأحد. لقد حملت عبء
 مأساتك سنتين ، وتأملت في سكون. لم أكن أستطيع أن
 أصارحك بأفكاري. فاضطرت أن أخفي عنك جزءاً من
 نفسي ولم أكشف لك ولأمك عن الحكم المحتم. لعلى خلت لك
 لهذا والدأ انانياً. لعلى لحت لك من بين عنايتي بك ونصائحي
 لك كوالد مضجر ثقيل. انني ما كنت أَرْضى بهذا النفسى فقد
 كنت أتألم وأحاول في سكون أن أغلب المرض الذى كان
 يترىص لحياتك النيلة بمهارة العلماء وعطفنا عليك .

وبذكر اللاتب ثررف مرضه ودره وفحص الطبيب له ثم يقول :
 ما ذا كنا نستطيع أن نقول لوالدتك التى كانت تنتظرنا
 على أحر من الجمر ؟ بماذا كنت أستطيع أن أحدثها عن مرضك
 دون أن أدعها تكتشف الحقيقة بعينها اليقظتين ؟ كنا نستطيع
 أن نقول لها أنك مصاب بضعف متفش بين الشبان فى استطاعة
 الطب أن يعالجه بشيء من الحزم . أصلحت من تقاطيع وجهي
 عند ما عزمت على ذلك حتى ذهب عبوسه بمجهود لا قبل لإنسان به
 وعدنا إلى دارنا بشارع « تريو بمبانو » فاذا بها وكأنها قد

أظلمت ، وقابلتنا أمك على الباب فقلت لها بلمحة طبيعية إن مرضك لا خطر له وإنك تستطيع أن تسترد صحتك بشيء من الصبر والعناية الدقيقة . عادت إلى منزلنا عندئذ بهجته وخيل إلينا جميعاً أن كل ما هناك من جديد يحملنا على القلق هو اضطرارك إلى التخلف عن مدرستك . كنت أنت وأمك تظنان ذلك أما أنا فكنت أغلق قلبي متألماً على سرى المهرق .

وبشير ارتندروا الى معالجة والدهم ثم يقول :

حاولت عندئذ أن أحسن سيرتي مع أبي لم يسبق لي أن تعمدت الاساءة إلى أحد وأحسننت إلى الغير كلها استطعت . فهل أخطأت في ذلك أتريد أن تقول أننا لا يجب أن نأثي الاحسان التماساً لجزاء الخالق ؟

ولكنني كنت أجد هذا عادلاً إنسانياً ! أليس في استطاعة الآباء أن يسألوا الله إنقاذ أبنائهم وهم في زهرة العمر ؟ لقد فعلت كل ما استطعت حتى أنال شفاعته . لقد وصلتني خطابات عدة كان أصحابها يقولون لي « لبيارك الله فيك وليبارك في عائلتك فليدم الله لك صحتك وليسبغ عليك نعمته . . . » لقد كنت أظن أنني أستطيع أن أمتنع على الحكم المحتوم بعمل هذا الصامت الذي كنت أقوم به وبضرعي إلى الله حتى يتم معجزته .

واقفاد العموج سدرينو بعض الافادة متى ظم والده انه بما : عاد السرور إلى منزلنا ، ونظمت لك بناء على رغبتك رحلة

طويلة رافقتك فيها والدتك طائفة مختارة حتى مصر مع كرها
للحياة الصاخبة والرحلات الطويلة ، وقد ملكها السرور حتى
كان من يراها يظنها خارجة من مرض مزمن ، مع انها لم تكن
تعلم خطورة مرضك ، وكانت تجهل نتيجة فحص الطبيب لك .
زرت بنغازى والقاهرة فأريت مجرى النيل وشمس افريقيا
ومدناً أخرى جديدة زاهية الألوان مليئة بالحياة تعيد إلى
الذاكرة أياما أخرى ومدنيات غير هذه المدنيات .

وعاد مندريو الى الدراسة بعد مغادرتي :

كنت أثناء دراستك تواظب على دروس الدين مواظبة
الشغف حتى تكونت في نفسك عقيدة هادئة ثابتة مليئة ، كانت
كتب الفلسفة والتاريخ تبعث في نفسك صورة واضحة للحياة
صورة قيّنة برجل ناضج واسع العقل متزنه . وكانت حياة النفس
تفتح لك أبوابها . وكنت أنت تتعمق بسرور شديد في ميادينها
اللانهاية تتلف على أتمام معارفك كمن يعلم ان الوقت ينقصه

ولكن مندريو بمرض من مبرير فيشعر والده بالخطر :

لست أستطيع أن أصف حياتنا في تلك الأيام وجو
المأساة التي كنت أتوقعها مجرد التوقع والتي أخذت تتضح لنا
ساعة تلو ساعة .

ساورتني اللفتة عليك « ككابوس » لا يعرف رحمة أو
هودة كيف تعاقبت الحوادث بعد ذلك ؟ لست أذكرها

باتنظام . ولو ان الذكري لا تتجرد من النور مهما اشتد ايلامها
لنذكر سوريا ولتذكرني انت إذا نسيت .

ووصف ارندرو مراحل مرض والده متى يوم الوفاة :

لقد كنت تشعر باقترابك من النهاية وقد اثبت لي ذلك
بقولك يوما : من المستحيل . لقد انتهيت . لقد انتهيت . واستطاع
الاطباء أن يوقفوا نزيفك ، ولكنك ما كدت تفوق من اغمائك
حتى طلبت القداس . لن أنسى يوما شعورك الطاهر في تلك اللحظة
فقد قلت لي : لست أجهل أن هناك من يصلي من أجل في الكنائس
ومن يدعو الله أن يشفيني ، لست أجهل أن هناك من يبتهل إلى
الله كل صباح حتى يتم آيته . لقد وصلتي التعاويذ والصور
المقدسة من كل الجهات ووصلتي زجاجة ملأى بماء الورد . لا أريد
أن يحول غيابي عن هذه الصلوات وعدم إقامتي للشعائر بيني
وبين تمام معجزة الشفاء . أريد أن أعترف .

نم بحل . يوم الوفاة :

سجدت حينئذ وقلت : إلهي . انقذ سندرينو فهو صالح
طاهر . لم يقل يوما كلمة جارحة ولم يخل بشرائعك ، لقد احب
أبويه ومعلميه رفقاءه وجيرانه ولم يتفقر أمام أية صعوبة كائنه
ما كانت . لقد كان تواضعه تواضع الكرامة والأنفة . لقد احب
الوضعاء ولم يقترب يوما ذنبا ما . أنقذ سندرينو يا إلهي فهو عماد

الغد وشرف بيتنا وخيره ، لقد دعاه عرافه قديساً . خذنى يا الهى
 إن وجدت ذنوباً ينبغي أن تكفر . كفى ، شوهنى . شلى إن
 رأيت فى الموت رحمة ولكن انقذ سندرينو . لقد عشت طويلاً
 ولكنه لم يتعد العشرين . لقد اشتهت أخته الصغيرة هذا الصباح
 بالبكاء الشديد أمام صورة المسيح واعتكف أخوه فيتوفى أله
 المغلق واشغل بالناس . انقذ سندرينو لهم ولأهمهم أيضاً . انقذه
 لجميع الذين يرفعون نحوك الامنيات والندور من مختلف أنحاء
 إيطاليا . انقذبنى يا الهى . انه سيحترم قانونك المنزل وقانون بنى
 الانسان الاخلاقى . بيد انى شعرت ان دعائى لن يستجاب . انه
 لن يحدى فتىلاً ، وخيل لى انى أرى أمامى عقبة لا قبل لى على
 ازالها ، وقوة خفية لا يستطيع التغلب عليها . لقد كنت تنوى
 كالغصن يتداعى تحت ثقل أثماره الناضجة . لقد كنت تموت
 لأنك كنت كاملاً ولم تكن من هذا العالم ولكن روحى
 وكيانى بأكمله كان يتمرد . كنت أشعر بشبه الألم الجسمانى
 الذى يثيره كل بترقاس وانا أتخبط فى قنوط من يشاهد موت
 أطفاله .

وبزغت الشمس صباح يوم الأربعاء ٢٠ اغسطس تتألق
 فوق الافق فرأيت سحابة سوداء تخرق السماء فى سرعة واعتزتى
 رجفة شديدة بينما قال لى طبيبك « انه يموت ولا يتألم » .

لست تذكر ولست تستطيع أن تذكر ما حدث بعد ذلك

لقد كنت بيننا ولكنك لم تكن تستطيع أن ترانا كما ترانا الآن.
من بعد ، ولم تكن تعود إلى نفسك الا لما سأقص انا عليك
لأن ما حدث في تلك الساعات المؤلمة التي حيتها بجانب عذابك
الآخر .

انقضى الليل وأنت في اضطراب مستمر شديد اعقبه شيء
من هدوء عم جسمك المنهوك ثم ابتداء دور نزعلك وبدأت تنازع
فعلا في الساعة الخامسة فحملتك بين ذراعي بعد أن شجعت
الحاضرين جميعاً وهيات نفسي ووالدتك وفيتو وأختك الصغيرة
لنتقبل سويا المصيبة التي كانت على الأبواب ، سجدنا جميعاً
ونظرنا إلى السماء ورفع إلى الله دعاءنا الأخير الصامت القانط .
لن أنسى يوماً ساعات نزعلك . لقد كنت راقداً على جنبك وقد
اشتدت حركة تنفسك وأخذت ترعبنا . لقد كان بودي ان
احز عروقي جميعاً وأن أنتزع حياتي لأتمكن من التخفيف
عنك وتقويتك .

لحظت فجأة انك تبحث عن شيء ما ، لم تكن تستطيع أن
تعبر عن شعورك وكنت انا شخصياً لا أستطيع أن أفهمك
كنت أتبع كل حركة من حركاتك مهما صغرت فأدركت أنك
تريد أن تشرب انك في حاجة إلى أن تبرد حرقة نفسك اللهب .
ثم اشتد نبضك اشتداداً سريعاً وجمدت عيناك وبرقتا .

ويعلن الأطباء قرب النهاية :

صحت حينئذ في الحاضرين : افتحوا النوافذ حتى يرى الشمس مرة أخرى . ففهمت أنت دعوتي بينما كانت أشعة الغروب تهيج مخيلتك للمرة الأخيرة وبينما كنت أنت تشكرني بنظرك الخائى هدأت حركة تنفسك بعد ذلك هدوءاً تدريجياً بطيئاً إلى أن حانت الساعة ١٩ و ٢٥ ففاضت روحك بينما كان يرسم على وجهك هدوء الملائكة وبينما كنت تختلج لآخر مرة في حياتك الدنيوية . احتضنك عندئذ سكون الموت الجليل . لآتى أرى الآن جمال وجهك المستسلم وما ارتسم عليه من هدوء تكاد تنبعث منه سلام روحك التى أطلقها الخالق .

دعوناك عندئذ نحن الأربعة باكين قانطين راجين أن تلهمنا القوة على الحياة . لن أحدثك يا سندرينو عما حدث بعد ذلك . فقد رأيته من ملكوت الخالق .

يصف المؤلف منارة ولده ثم يقول :

لقد وعدتني يا سندرينو أن تعود « فيما بعد » . ان جثمانك راقد الآن فوق تلك الأكمة فى ذلك المدفن القروى البسيط الذى خلده الذكريات ... بينما أشعر أنا بروحك المقدسة وهى ترفرف بجناحيها فى أجوائه مطمئنة تنتظرنا فى سكون .

ولكنك تريد أن ينبعث من تلك المقبرة نور دائم . نور إيمان وخير . يجب أن يتحول جميع الملك الى أعمال خيرية فلعل الله قد سمح لهذا فقط بوقوع الأساة التى قصفت حياتى .

ثم يثمرت عما عقب الوفاة :

لقد كنت أشعر بروحك قريبة مني ، أى سندرينو ! لقد عزيتني حتى في بكائي . لقد أسبغ على الجميع نصائحهم ولكنني كنت لا أعير أهمية لنصائحهم إياي بالهدوء والاستسلام ولم يخفف من لوعتي حيناً إلا صوت متواضع قال لي يوماً :
«سندرينو يتألم لأملك هذا» فحاولت أن أهدأ خشية أن أوْلك .
نصحوني أن ألتبس العزاء في حياة التأمل وقراءة الكتب المنزلة . كانت النصيحة وجيهة عادلة فأطعتها وأفادتني نوعاً ولكنني لم أجد العزاء الكامل كما كانوا يريدون لي . قرأت كتب الرسل وفهمت ضرورة الألم وواجب التضحية . إلا أن كل هذا لم يكف عني وخز ذكرى وحيدة هي ذكراك أنت يا بني . أنت الذي انتزعوك مني أبداً وانتزعوك من الحياة التي كانت تبسم لك وكلها وعود وثيقة . لقد كانت ساعات الليل الأولى — ولا تزال — هي وساعات الفجر الأولى أشد الساعات إيلا بالنفسي .
لمنتى أشعر حتى أثناء نومي بلفحة ذلك الألم الشديد وهو يحز نفسي فلا أتمكن حتى في هدوء النعاس وسكونه من أن أنسى ما انتزع من حياتي ، أن أنسى أعز ما بتر واقتطع من نفسي ، أن أنسى أن دعامي لن يجدي شيئاً في رد ابني العذب المعبود إلى ثم استيقظ فأواجه مأساتي كما هي في حدودها المجسمة الخفيفة .
من شأن مثل هذه الآلام القوية أن ترفعنا فوق حدود

حياتنا اليومية وأن ننسينا عزة حياتنا الوضيعة ، أن تطهر شعورنا وترفع من شأنها . لذا يجب على كل من يشعر في نفسه بخلق قوى كامل وذكاء متوقد وروح ذكية أن يستمد القوى الحيوية من العقائد الدينية الفلسفية لا من الزمن أو من العمل الآلى . لم تعزنى المطالعة ولكنها قوتنى ومكنتنى من الانتصار والثبات قرأت فى كتب أفلاطون وصف وفاة سقراط وقرأت حياة المسيح ، قرأت كل شيء وحاولت كل شيء أى سندرينو العزيز حتى لا أوئلك بألمى الدفين ، أردت أن أتصل بمن بلا الآلام النفسانية لاحظى منهم بكلمة العزاء والهدوء . بحثت عن كل الوسائل ودعوتك فى كل ساعة من ساعات ألى . حاولت أن أعمل ولكن العمل لم يكفى فإن التعب البطىء يستطيع أن يشغل حواس المرء برهات محدودة ولكنه لا يعزى .

لازلت أذكر أنتى رأيت أمامى ذات يوم وأنا أصعد «سان جوستو» جداراً مرتفعاً ثابتاً مبنياً على هيئة العمود بجانب التل المقدس ، فقلت فى نفسى «هاهو حاجز لا يمكن لأنسان أن يعتليه أو أن يهدمه» لم مر هذا الحادث بمخيلتى الآن ؟ أى علاقة بين الجدار والروح ؟ لاعلاقة هناك ومع ذلك فقد كنت أفكر فى وفاتك بحزن فى تلك الساعة وأرفع عينى رفعاً غريزياً فأرى ذلك الجدار المرتفع . ان موتك مأساة لا قبل لى بها ولا مقدرة عليها . يجب أن أنتهى على نفسى فى صمت وأن أبحث عن سبب

مصائبى هذا فى أسباب المقدّر .

هذه هى ياسندرينو شهور الى الاولى . الذى ان يستطيع الزمن
بحال من الأحوال أن يخفف من شدته . لقد استعدت الحياة بهوء
تام ولكن كل ما يحدث حولى يدور خلف ستار من زجاج
بارد ، فلا تؤثر على روحى العوامل التى تؤثر على غيرى . لقد
شعرت بأكبر الآلام وتحملت روحى أشد المظالم ، وبلغت حداً
من الألم لا قبل لأحد على احتماله .

سندرينو ، لقد قربت نفسى الديانة من الله أكثر من ذى
قبل ، حتى خيل لى ان تكريم ذكراك يوم اربعينك والصلاة
على روحك ، ورفع الأناشيد المقدسة والدعوات الدينية لسلام
نفسك مكملات ضرورية لتمام صعودك إلى ملكوت السماوات
لقد وجدت فى آيات الانجيل حقائق أخرى من حقائق الحياة
ورأيت فى ظواهر مقبرتك وفى الورود التى كانت تزينها وفى
زجاجها وحديدتها المزين مظاهر روح خلقت للألم .

يجب أن ترى وتشعر بجميع هذا فليس من المستطاع أن
تتم مثل هذه المأساة المركبة بكل هذا العنف ، وليس من
المستطاع أن اتبعها بكل هذا الألم إن لم تكن هناك الثقة بالحياة
الآخري والايمان فى فائدة لك أنت الذى تركتنا للابد .

كتبت لى امك المعذبة : انتى اذكرك باستمرار منذ ان
ذهبت الى ميلانو حيث لازلت أشعر وكأن ابنا العزيز مقيم فيها

وأكد أراه خارجا من غرفته باسم يسير بخطواته السريعة نحوى وكله حبور واستبشار ، اننى أشعر وكأنه رحل فى رحلة طويلة سوف يعود منها أو سوف أتبعه أنا فيها على الأقل فى القريب العاجل . وهذه الفكرة تخفف من لوعتى نوعا ما ، والدتك على حق . لقد سافرت فى رحلة طويلة ، لعلك بلغت المرام ، ولعل سفينتك بالغة مرساها ، ولكننا لا نزال بعيدين وحيدى فى هذا البحر الشاسع ، ولا زلنا ننتظر أن نبلغ مرامنا . وأن نجتاز أفقنا نحن الآخرون .

... لأنك تملأ حياتى من جهات عدة يا بنى وتشعرنى بروحك الطيبة فى أشد الساعات عبوسا وتجد الوسيلة لمحادتى دون أن أتوقع ذلك منك حتى تخفف عنى ألى .

لقد شعرت بك أخيراً قائماً من بين السحب عند ما زرت مدرستك . أنت تعلم كم كان ألى ذلك اليوم ، لقد أردت أن أن أسلم شهادتك النهائية شخصياً ولذلك عدت إلى تلك الجدران التى كانت يوماً عزيزة عليك عند ما أردت - وأردت بالحاح - أن تتم دراستك . لقد كانت تلك الشهادة آخر نصر أحرزته كانت ختام حلقة درس جاد نشط .

رأيت مقاعد الفصول التى قضيت بينها خير أعوام صباك وتسلمت من مدير مدرستك شهادتك . أنت تعلم كنه التأثير العميق الذى اعتبرانى ساعته . كنت أسمع لفظ الفصول

من خلف الجدر واصغى إلى أصوات رفقاتك المليئة بالحياة تقاطعها من حين لآخر كلمات المعلمين الجليلة . كانت الحياة تدفعهم إلى معترك المستقبل . كان رفقاؤك موجودين جميعاً في ظل البناء العتيق . أما أنت فكنت غائبا يا بنى .

ورغمتم المؤلف بالفصل الاثنى عشر :

كان صباح يوم من أيام ديسمبر وقد كاد برد ميلانو وضبابها يثلجان نفسى . خيل لى ان ظلام الليل لا نهاية له ولم أعد أدري كيف أسكن حزنى . تضرعت حيثئذ إلى الخالق حتى يبعث لى بدليل يخفف من ذلك الحزن القانط أو يقنعنى بأننى سأراك من جديد فى الحياة الأخرى . بكيت ذلك الصباح بكاء القانط ولكننى أصلحت من نفسى أخيراً حتى أعود إلى حياة العمل فى الضحى . وقد وجدت فى إدارة الجريدة خطابات ومجلات عدة ثم رسالة كتب ارسلها إلى مجهول من بولونيا . فأعطيت الخطابات إلى أمين سرى وأخذت الكتب ، وأنت تعلم اننى أفعل هذا أحيانا واتى أهمنى دائماً بالكتب أكثر مما أهمنى بالخطابات .

فتحت الرسالة بينما كنت أحاول أن أحزر مرسلها المجهول . فظهر لى كتابان غير كبيرى الحجم أمسكت بثنائها وفتحته عفوا وإذا بى أقرأ كلمات كأنها منحوتة فى النار تقترب من عيني .

وروحى اقتراباً غريباً . كان ما قرأته فصلا عن «الثقة بمشاهدتنا
لموتانا في الحياة الأخرى» .

لقد كانت هذه الكلمات الدليل الواضح لحياتك
السماوية في ذلك الصباح الذى اتاننى اثناءه ذلك القنوط المريب .
دليلا اتانى عن طريق راهب متواضع لا أعرفه .

رأيت فى تلك المصادفة دليلا أكيدا على شفاعتك الرحيمة
فتأثرت لها تأثراً عميقاً أعقبه الاستسلام والهدوء . اننى مغمور
الآن باليقين . عازم على أن نحسن الموت والحياة : أن نحسن
ذلك وهذه فى أرفع الأشكال كرامة للعائلة والوطن فى عالم
الخير كما تريد وتحب أى بنى المعبود . انك تنتظرنا من بعيد
وتشير لنا إلى الطريق القويم : يجب أن تنشأ من كل هذا العذاب
قوة على الحياة وضوء للصلاح . هذا ما تريد وهذا ما سوف يكون
وانت أى زهرة حياتى عاوننا جميعاً فى كل ساعة حتى يتم
انسجام أنفسنا فى الحياة والموت وفيما بعد الألم الذى لاحد له .

احادیث الموسولینی

بقلم

امیل لدفیج

مقدمة

لهذا الجزء من الكتاب طابع خاص يختلف في جوهره اختلافاً كلياً عن طابع الجزء الأول فليس له كبير نصيب من تلك العواطف العائلية العميقة وذلك الشجن العذب الرقيق وتلك الذكريات الحية المقدسة التي يتخذ منها صاحبها رفيقاً له في وحدته وغذاء لإيمانه والتي تترك هنا المكان لبرادر الرجولة المجاهدة والشدة الصارمة الملزمة لكل مجهود انساني يرمى إلى تغيير حالة اجتماعية معينة ساهم الزمن في تكوينها .

هذا الاختلاف ناجم عن تغير البيئة التي تقع فيها الحوادث التي يتحدث عنها المؤلف لاعن تباين في نفسه أو في تفكيره فمن الخطأ الشنيع ان يتم رؤساء الانقلابات السياسية الكبرى والقائمين بها بالتجرد من الشعور الانسانية الرقيقة أو قلة نصيبهم منها لمجرد ميلهم إلى الصلابة في القيام بواجبهم القومي الذي يفوق بحدوده حدود الفرد وعواطفه كحدود الزمان والمكان التي يتم بها والذي قد يستدعي لذلك كبت العواطف الفردية ويعطى بهذا الكبت مقياساً يقاس به استعداد الفرد للتضحية .

هذه البيئة التي بلاها الشرق ولن تستقيم نهضته ان لم يعد اليها هي بيئة الرجولة الانفة القوية التي تحتقر الحياة السهلة الوضيعة وتضحي

بالشكل في سبيل الجوهر وتعمل عملاً شديداً متواصلاً لإنشاء أمة جديدة من العدم .

هذه البيئة لازمة لكل أمة تريد أن تبلغ ما وصلت إليه الأمم الأخرى التي سبقتها في طريق المدنية والتقدم، لازمة لمصر في ظروفها الحاضرة حقيقية لذلك بدرس مفكرها .



لقد ظننا حتى اليوم خطأ أن نقل مصر من الحالة التي هي عليها إلى مصاف السولة القوية المتحضرة لا يتطلب أكثر من تقليد أنظمة الحكم وأساليب الحياة المتبعة في الغرب على أن يتم هذا التقليد الشكلي في غاية البطيء وأكبر قسط من الراحة فلا يتكبد أحد فيه أعياء ولا يتحمل أحد في سبيله تضحية حتى ولو كلف ذلك مصر القرون الطويلة وهدد وحدتها بالتفكك ومكن منها الأقوياء الذين يحسنون استغلال كل فرصة تنبج لتقوية نفوذهم مع أن تاريخ البشرية يثبت لنا أن الانقلابات الاجتماعية والسياسية الكبرى لا تتم على هذا الوجه، يثبت أن في حياة كل أمة من الأمم عهوداً تشعر هذه أثنائها بتأخرها شعوراً هو الألم في أوسع معانيه : ألم الندم على الوقت الذي فقد، والحزى للكرامة التي دبت والمهانة من سخرة الهازئين . عندئذ تستجمع هذه الأمة قواها وتوحد صفوفها ، وتنسى متع الحياة وشكلياتها لتواجه الجوهر في جميع حقائقه ؛ عندئذ تختفي الاستكانة والدعة أمام الاندفاع والشدة ، تختفي الحياة الهادئة العادية التي تتمتع بها الأمم المستقرة ، وتظهر الحياة النشيطة العنيفة ؛ عندئذ يتلاشى الفرد

في المجموع وتضحى مصلحة الفرد لمصلحة المجموع وتتسع مجهودات الفرد لتحقيق أحلام المجموع ويتم جميع هذا طبقاً لناموس طبيعي أعلى وهو ان الأفراد والامم التي لم تبلغ في الحياة حداً معيناً من التقدم لا تستطيع أن تقيد بقوانين الامم التي بلغت هذا الحد وليس لها الحق في أن تطبقها على نفسها قبل أن تستوفي عناصر ذلك التقدم؛ عندئذ تطبع حياة هذه الأمة بطابع واحد هو طابع الرجولة القوية والتضحية التي لاحد لها والشدة الصلبة التي تصهر الأفراد في وحدة حديدية مقدسة وتسدد خطاهم ومجهوداتهم وخلجات قلوبهم نحو مثل أعلى واحد يشغل نهارهم وليلهم على السواء ويحتل المكان الاوحد من تفكيرهم وشعورهم في كل ذرة من ذراته . هذا المثل الأعلى هو الذي تنشده الآن مصر : هو انهاض شعب سقط وبناء مستقبل أعدت عناصره وتجنيب الأجيال الآتية ما وقعت فيه الأجيال السابقة من ضعف وذلة وعبودية .

نعم . لقد آن لنا أن نفهم أن نهضات الشعوب لا تتحقق عن طريق تقليد الجانب الوديعة من حياة الامم الأخرى دون جانب الرجولة والشدة أو انتظار التقلبات السياسية العالمية أو رفع العرائض إلى الهيئات الحاكمة أو الاحتجاج عن طريق الصحف بل بواسطة العمل المادى والادنى الاجتماعى المستمر لكسب الوقت الذى مضى ، ومعالجة الأمراض الاجتماعية التي تعرقل تقدم الأمة على أن تكون هذه المعالجة عملية مادية محسوسة فلا تقتصر على الجعجة والتهويز آن لنا أن نفهم أن ليس فى استطاعة أية حكومة كائنة ماكانت

أن تخلق أمة تضافرت الأحداث والقرون على الذهاب بالعناصر
الخيرة فيها من العدم في شهور أو سنين مالم تتعاون معها العناصر
الفتية المثقفة من هذه الأمة بعد أن تفهم واجبها وتكرس حياتها لخير
لأجيال القادمة وتعلم أولاً أن الحياة السهلة الهادئة الوديعه ولنقلها
بكلمة واحدة الحياة الطبيعية التي تحياها الأمم الأخرى لا تحقق إلا لمن
اكتسبها بالتضحية والجهد الطويل ، لا تحقق لمن لا تزال الأغلبية
الساحقة من اخوانهم في القومية تعيش عيشة القرون الوسطى وتقاسى
الآلام بأنواعها في كل لحظة من لحظات حياتها ، لا تحقق لمن يعلم أن
القوة المادية ما هي إلا مظهر من مظاهر القوة النفسية وإن الطعنات
التي سددت لكرامة الشعوب الشرقية في هذه السنين الأخيرة دون
أن تجد هذه الشعوب من نفسها الرجولة الكافية لمواجهة بما هي أهل
له ترجع الى انعدام هاتين القوتين معاً.

لقد حنت مصر رأسها مراراً واستكانت مثلها شعوب شرقية
عديدة أخرى أمام اعتداء المعتدين . لقد وقفت جهود الشرق العربي
عامة من النضال عن حرية فلسطين وعروبته عند الاحتجاجات الفلرغة
لقد تعثرت الشعوب الشرقية العربية الفتية في نهضتها القومية التي لم تتم
لأنها أخفقت جميعاً حقيقة شرقية اسلامية واحدة أخذت بها شعوب
الغرب الفتية فهضت وهي تعزيز الحق بالقوة والبأس قوة النفس
لباسها المادى بترية الأجيال الناشئة للجهاد في سبيل المثلى العليا .

آن لنا أن نفهم أن المدنية ليست في أن نبعث بأموال عمالنا كل
صيف في الخارج لسبب وغير سبب وأن يحسن بعضنا الفرنسية

ويقرأ بعض آخر ما تنشره تلك التي يدعونها بصاحبة الجلالة الصحافة
— لأنهم كذلك يدعونها في باريس — فهذه جميعاً مظاهر لها جوهر
يجب أن يتوفر قبلها هذا الجوهر هو أن نجعل من فلاحنا رجلاً كالرجال
ونبعث في هذه الأمة شعوراً حياً بمنزلتها ونوفر لها الوسائل التي
تستطيع أن تثور بها على كل اعتداء يوجه لكرامتها .

آن لنا أن نفهم كل هذا ونعمل به إن كنا نريد حقيقة حالاً غير
هذه الحال والا ذهب ما نفعل وما سوف نفعل هباءً منثوراً وقيل
علينا العفاء .

المعرب

الفصل الأول

تربية رجل الدولة

مدرسة الجوع

سألته والجوع؟ هل ربك الجوع أيضا؟

فنظر الى بعينه النجلاوين وهما تبعثان يريق أسود أملس
ودفع بذقنه وفه إلى الأمام بحركته العادية وخيل لي أنه يذكر
شبابه بأسى عميق ثم قال بصوت حزين: الجوع مرب صالح،
صالح كالسجن والعدو. لم تكن والدتي تكسب أكثر من
٥٠ ليرة في الشهر كمعلبة ولم يكن والدي يكسب أكثر مما يستطيع
حداد بسيط. كنا نسكن غرفتين لا غير ولم نكن نأكل اللحم
تقريبا ولكننا كنا تناقش بحدة وتنازع ونأمل. سجن والدي
من أجل الدعاية الاشتراكية التي كان يقوم بها حتى إذا مات
شيعة ألف رجل من زملائه في حزبه. لقد حفزني كل هذا
للعمل ولا شك أتى كنت أكون غير ما أنا الآن لو كان والدي
رجلا آخر. لقد تمكنت من تربية خلقي في دارنا تربية شديدة
ولو تفرس الناس في حينئذ من قريب وأنا لم أتعبد بعد السادسة
عشرة لرأوا في ما تراه الآن. ان خروجي من صفوف الشعب
أهم حدث في حياتي.

كان يقول هذه الكلمات بصوت خافت يدوي كالطبلية
يطلقها صاحب أعلى بعد. لقد سمعت هذا الصوت في لهجتين.

يستعمل أولاهما إذا ما تكلم في الميادين وعندئذ يدوى صوته
بحدة عسكرية كما كان يدوى صوت تروتسكى وهو يخطب في
ال الجماهير. أما اللهجة الثانية تخافته يظهر فيها تمكنه الوثيق من جميع
أعصابه وهو لا يستعملها في محادثاته الخاصة فقط فقد سمعنا منه
في حديث مع جماعة من العمال لا يقلون عن العشرين .

هذا سر من أسرار حياة هذا الرجل : فهو يدخر ظواهر
قوته الخارجية للناسبات ويحتفظ بها غالبا تحت تصرفه .

قلت له بعد ذلك : انك تحب الآلات لما في نفسك من ميل
للبناء فهل هذا الحب يرجع إلى طفولتك عند ما كنت تحتك
بالعناصر الأصلية في حانوت والدك ؟ وهل تعتقد أن في العمل
اليدوى تأثيرا فعليا منتجا يفوق تأثير العمل العقلى ؟

فأجاب بصوت متعش : تأثير عميق جدا ، يبقى عميقا في
الانسان حتى الوفاة . ان من يعمل بالمطرقة أمام النار يغرم
بالمادة التي نود ويجب أن نكيفها حسب ارادتنا . اننى أشعر
بعطف شديد نحو البنائين إذا ما صادفت احدا منهم وهيزاول
عمله ، وأود أن أقوم بالعمل نفسه .

فقلت له . لقد قرأت مرة خطابا كتبته وأنت شاب منذ
محو ٣٠ عاما تخبر فيه صديقا لك عن رحلة إلى سويسرا وتقول
فيه على وجه التقريب ان تلك الليلة التي قضيتها في نفق
«الجوتردو» شطرت حياتك جزئين .

فقال موسوليني . لقد كان هذا أثر تلك الليلة فعلا . اننى أعلم ذلك . كلنا نقرض الشعر فى التاسعة عشرة من عمرنا وكلنا نود أن نبلو الحياة . لقد كنت على أحر من الجمر رغبة فى معرفة العالم حتى أتى طرحت مهنة التعليم جانبا وتركت والدى فى السجن - وما كنت أستطيع أن أخرج منه - وذهبت إلى سويسرا كعامل بسيط لا نقود معه . اننا فى تلك السن متحمسون أحيانا قانطون أحيانا أخرى . لقد كانت آلام والدى قائمة أمامى دائما ، أشعر بها كما أشعر باحتقارهم إياى فى الكلية وهكذا شبيت ولى آمال المعدمين كما ينشأ أبناء الثورة ، ما عسأى كنت أستطيع أن أكون حيثئذ غير اشتراكى متطرف أو شيوعى ثائر؟ لقد كنت أحمل فى جيبى دائما نشانا لمركس وكنت اعتبره شبه طلسم .

وما عساك تقول اليوم وأنت تتأمل فى صورة له ؟

انه كان ناقدا عميقا ولحد ما نديا أيضا بكل ما فى هذه الكلمة من معنى . لم أكن حيثئذ أستطيع التحدث كثيرا عن هذه الأشياء فى سويسرا . كنت أكثر العمال أدبا وكنت أعمل طول النهار ، ١٢ ساعة فى شركة « أوربا للشكالات » أو اضطر لحمل حجر البناء فى تعب شديد حتى الدور الثانى ١٢٠ مرة فى اليوم . ولكنى كنت أشعر حتى حيثئذ أن كل ذلك لم يكن غير مدرسة اعدادية للمستقبل .

حتى فى السجن ؟

وعلى الأخص في السجن . اننا نتعلم الصبر في السجن كما
تعلبه على ظهر السفن في البحار . في السجن وفي البحر يتدرب
الإنسان على الصبر .
سأله عندئذ عن سجنه .

فتقدم بجسمه نحو دائرة نور المصباح واركن بذراعيه على
مكتبه كما يفعل عادة إذا ما أراد أن يشرح أمرا أو يدقق في تحديد
شيء ثم خفض ذقنه وأبرز شفثيه وحاول أن يخفي خلف حاجبيه
- بعد أن قطبهما بشكل هائل حقا - شعورا نبساط خالص ثم قال:
لقد سجننت ١١ مرة في أربع دول ، سجننت في برنا ولوران وجنيف
وترنتو وفورلى وفي أمكنة أخرى عديدة . وقد ارتحت في كل
من هذه السجون راحة ما كنت أستطيع أن أمتع نفسي بها
من نفسي . لست ناقما على هذه البلاد ، ولا زلت أذكر أنني قرأت
في أحد تلك السجون « دون كيشوت » وابتهجت به ابتهاجا
لا يوصف .

فسأله بشيء من الجرأة : لهذا ترمى بأعدائك السياسيين في
السجن ؟ ألا تبعث ذكرى هذه السجون إلى نفسك بشيء من
الشك إذا ما قارنتها بالأحكام التي صدرت ضد أعدائك ؟

فابتسم وبخلق بعينه كما لو كان لم يفهمنى وقال بهدوء : كلا ،
إننى أجد كل هذا منطقيا للغاية . لقد كنت أجهن أنا أولا . أما
الآن فالحالة قد تغيرت . إننى أقوم بواجبي .

مدرسة الحرب

قلت له : لقد كان للخدمة العسكرية في بروسيا رغم شدتها قوة إغراء على النفوس حتى أن أشد الاشتراكيين بيننا تطرفا كانوا ينشدون أناشيد شبابهم العسكرية وأفواههم ملأى بالجمعة ولكنك - كما فهمت من خطاب لك - كنت متحمسا لوطنك أثناء الجندية لحد لا عهد لي به في أي اشتراكي ألماني حتى أثناء السلم لقد كنت تصرح بأنك تريد أن تكون مثال الجندى القوي بدلا من أن تتدمر من رؤسائك كما كان يفعل الايطاليون جميعا حينئذ. فهل كنت تفعل هذا بدافع الشهامة أو لتدافع عن شرفك كاشتراكي ؟

فأجاب : للأمرين معا . لقد كنت مثال الجندى حقا ، ولم أكن أرى في ذلك أي تناقض مع الاشتراكية ، ألا يستطيع الجندى الشهم أن يكون مجاهداً قويا ؟ يجب على الانسان أن يحسن الطاعة قبل أن يتولى الأمر .

ولكنني لأظنك ارغمت على اطاعة أحد في أي دور من تاريخ حياتك ؟

أطعت وأنا في الجندية . أما قبل ذلك وبعد ذلك فلم تتأت الفرصة .

وهل تظن اليوم وقد انقضت خمسة عشر عاما على الحرب

العظمى أن الحرب وسيلة ناجعة لتربية الشباب كما لو كانت
مبارزة حقّة ؟ وهل تسمح أن يقيم رجل مثلك في الحنادق بدلا
من أن يجلس الى مكتبه ولا تمنع ذلك في المستقبل ؟ وهل تسمح
أن يهلك رجل آخر له من المواهب مثل مالك في الحرب ؟

لاحظت وأنا أفوه بهذه الكلمات أنه كان يرقبني لأنني إذا
ما تكلمت في هذا الموضوع فقدت هدومي ومكنت معارضي من
الاحتفاظ بسكونه . كان موسوليني يدور بحركته العادية
على مقعده ثم يقرب يديه الواحدة من الأخرى واضعا أنامله
الواحدة قبالة الأخرى كما يفعل غالبا فيمكن ناظره من
التأمل في يديه الجميلتين . وهذه ظاهرة لاحظتها في دكتاتوريين
آخرين .

ثم أجاب : إن ما أفعله بهذا الرجل يترتب على الظروف -
أما بخصوص المبارزة فهي تنطوي على كثير من الشهامة وقد
تبارزت أكثر من مرة . ولكن مدرسة الحرب تجربة عظيمة
تستطيع أن ترى أثناءها بنى الانسان عراة في حقيقة طبيعتهم
تستطيع أن تسمع أثناءها اليهم وهم يتساملون كل يوم وكل ساعة: هل
قدرنا أن نحى أو أن نموت ؟ لقد استطعت أن أعرف قوة الجندي
الايطالى حينئذ . كانت الحرب العظمى أول تجربة شديدة
نواجهها منذ ألف سنة . لم يقاتل شعبنا كوحدة تامة منذ سقوط
الامبراطورية الرومانية برغم تعدد الحروب بين مدينة ومدينة

لم نقاتل حتى وقت سقوط جمهورية فلورنس منذ أربعائة سنة .
لذا كان نابليون أول من أخبرنا في الحرب وقد كان راضيا .

ولكننى كنت عازما على عدم مناضلته فما كنت أقصد
الجدل لأقنعه أو يقنعنى . بل مجرد حديث كنت أريد أن أصل
عن طريقه لمعرفة لى إذا عدت إلى حديث الخنادق وقلت : إتنى
أعجب من استطاعتك تحمل الحياة مع الجماعة أياما وأعواما
لقد قال شاعرنا « وهمل » — وقد ذهب إلى الحرب متطوعا —
إن أثقل ما فيها ضرورة الحياة مع الجماعة . فقال موسولينى : هذه
هى الحقيقة معى أيضا ولهذا تعلم الحرب الانسان أيضا كيف
يدافع عن نفسه وكيف يهاجم — هل تعنى الحقيقة أو تقصد
التشبيه ؟ هل استفدت من الحرب فى زحفك على روما ؟

نعم ، لحد ما . لقد درست مع رفقاءى الضباط خطة الزحف
على روما ولو أتنى لم أقد الزحف بنفسى .

لقد كان من حظك أن تستطيع الوصول إلى الحكم دون
قتال ولكنك لو وقعت فى حرب الآن وخسر أحد ضباطك
الموقعة ...

فنظر إلى بابتسامة سخرية وقال : ثم ؟

— وهدم لك كل البناء الشاىخ الذى تشتغل فى إقامته منذ

سنتين طويلة ؟

فأجاب فجأة وقد ارتسمت على وجهه علامات الجدة العميق

ولكنك تعلم أتى تجنب الحرب في هذه الأعوام الطويلة .
وسأله هل جرح في الحرب فأجاب : حتى لم أعد قابلا
لنقل وقد حدد أحدهم مكان إقامتي في جريدة من الجرائد فدمر
النمساويون المستشفى ونقل المرضى جميعا إلا ثلاثة منهم وبقيت
في خطر الموت أياما طويلة .

أصحح أنك لم تقبل أن يخذروك أثناء العملية ؟ فأجاب
بالإيجاب . كنت أريد أن أرى ما يفعل الأطباء . ألم يكن
عملك هذا عملا شادا ؟ كلا لقد كان هناك شبان كثيرون
يذهبون إلى الموت في حماس ثابت ، ولكن هل مات معظم من
مات في حماس ؟ . وإذا كان هذا حقا فلم تنتج هذه الحرب
الكبرى قصيدة واحدة كما أنتجت الحروب التي انفجرت
للاستقام أو لنوال الحرية أو ما أشبه ذلك ؟ .

— كلا — اما بخصوص الشعر فأتى أظن أن تلك الحرب
كانت عظيمة جدا بينما نحن على عكس ذلك .

وحينئذ هل تستطيع حرب الغد الكيماوية التي ستفقد
الإنسان المقدرة على الدفاع عن نفسه والقيام بأي عمل يمكن
أن ينسب إلى البطولة أن تكون مدرسة للشباب ومدرسة
لا يمكن إبدالها ؟ .

مدرسة لا يمكن إبدالها ؟ كلا . ولكنها لا تزال تمرينا
فاجعا لتدريب الأعصاب على الثبات تحت مطر القنابل .

مدرسة الصحافة

وإذ كنا لا نستطيع أن نتفاهم في هذا الميدان فقد تركته
وسألته هل استفاد من مزاولة الصحافة ؟

فأجاب بصوت متحمس قاطع كمن ينظر خلفه نحو دور
من أعز أدوار حياته : استفدت استفادة جمّة . لقد كانت الجريدة
لي بمثابة السلاح والشعار ، بمثابة روحى نفسها تقريبا .

واليوم ؟ لم تعرقل عمل الصحافة مع اعتقادك في فائدتها ؟ .
فأجاب بصوت قاطع أيضاً : ليست الصحافة اليوم كما كانت
قبل الحرب . الجرائد تدافع اليوم عن المصالح لا عن
العقائد أو على الأقل معظم الصحف . فكيف تستطيع أن
تربي من يكتبها ؟ أما من الوجهة الفنية فلا تزال الصحافة معلما
بارعا لكل من قدر له أن يشتغل بالسياسة ويندمج في الدولة
لأنها تعلمه الفهم السريع وتعوده كيف يساير الأحوال
ولكن الصحافة تستدعى من الإنسان أن يكون شابا — لقد
قال لى « الأمير بولدف » يوما هذه الجملة : « الصحافة تؤدى
بالإنسان إلى كل شيء على شريطة أن يخرج منها » . ولكنك
وقد تعلبت من الصحافة ما تعلبت وعلمت في الوقت نفسه

قراك أ كثر من ذلك أفلا ترى أن الرقابة تقضى على هذا الجزء من النقد المبدع ؟ فأجاب بصوت قد اشتدت نبراته : هذا خيال فاسد . فقد انتقدت هذه الجريدة البارحة — وأخذ يبحث عن الجريدة — مرسوما أصدرته انتقادا لاذعا . ثم أن الجرائد التى تتمتع بحرية الكتابة تنشر دائما ما تريده الشركات والمصارف الكبرى التى تمولها .

فقلت : وهل كان الحال أفضل من الآن وقت ان كنت تنشر أحاديثك فى الصحف أى منذ عشرين عاما وهل درست حينئذ شخصيات محادثك كما درستها أنا ؟ .

فأجاب : طبعاً حدث هذا مثلاً عند ما حادثت بريان فى « كان » وقد تقابلنا بعد ذلك بقليل كوزيرين . لقد كنت دائماً من الخبيرين بالشخصيات ولا زلت أقرأ الجرائد أكثر مما كنت أفعل من قبل . ولا زلت أفكر وأنا أقرأها أحياناً : لقد كان فى استطاعة هذا الحمار أن يكتب خيراً من هذا . ويحدث ذلك على الأخص إذا ما قرأت مهاجمات عنيفة .

هل تكثر من القرامة ؟

أقرأ كل شئ . وعلى الأخص جرائد أعدائى وأجمع صوراً كاريكاتورية لدى منها أجزاء متعددة — هناك صور من هذا النوع لى ولك ومنها صورة ألمانية تمثلنى جالساً على كتفك فضحك وقال : الصور الكاريكاتورية مهمة وضرورية .

انكم تقولون أن شعبنا يعاني الاستبداد، هل قرأت قصيدة «رسولي» ؟
انها لاذعة ولكنها ملأى بالدعاية لحد أننى لم أضع نشرها .
فقلت : ألا ترى أنك كنت قاسياً فى أحكامك كناقدا الآن
وأنت تستطيع أن ترى الأشياء من الأعلى ؟ أو هل كانت
كتابتك حتى حينئذ كتابة بناء لا هدم ؟
فأجاب : لقد كنت دائماً أقدم المشاريع ولكننى لم أكن
أستطيع الاشراف عليها من الأعلى كالיום ولذلك ترانى أقل
انتقاداً لرفقائى .

وهل تخفف من حدتك اذا ما كتبت للجرائد الآن ؟
فنظر إلى نظرة حادة وقال :

اننى لا أحسن الكتابة إلا إذا كانت حارة قاطعة .

فسأله : وهل كنت تشعر فى تلك السنين التى لم تنل أثناءها
بالعنف شيئاً أن كل ما كان يحدث حولك لم يكن إلا مقدمة
لحياة جديدة ؟

فانبط وجهه مرة أخرى وهو يحملق فى هذه اللحظات
بعينه كما لو كان يريد ان يستشف النور وقال : لقد كنت أشعر
شعور ايمان لا يتزعزع أن كل ما يحدث حولى وكل ما أعانيه
على الأخص ما هو إلا استعداد لأمور أهم وأعظم .

مدرسة التاريخ

وصلتني أثناء إقامتي حينئذ في روما هدية ثمينة هي نسخة من كتاب ميكافلي وكانت مطبعة «الدولة الفاشية» قد طبعته على ورق فاخر وأهدته لموسوليني في شيء من المغالاة.

لأنني أفضل أن تكرم الدول الدكتاتورية ذكرى معلم الدكتاتوريين بدلا من أن تحقق سياسته في السر وهي تعتبر الانتساب إليه كاهانة لا تغتفر. لقد ألف «فديريك الأكبر» كتابه الاجتماعي «نقد المكيافلي» وهو ولي عهد بروسيا ولكنه ثاب إلى نفسه بعد ذلك وسلك سياسة تختلف عن نظريته هذه اختلافا مبيّنا ولو أنها كانت أقرب إلى نفسه وأصدق لشعوره سألت موسوليني عند ما زرته بعد ذلك : لقد ابتدأت دراساتك السياسية بمكيافلي أليس كذلك؟

فقال : لقد كان أبي يقرأه كل مساء بينما كنا نصطلي بجانب بقايا النار في حانوته ونحتسى نبيذنا البلدي . كنت أنا تأثر لسماعه تأثرا عميقا لا يقل عن تأثرى به عند ما قرأته بعد ذلك ولى من العمر أربعون سنة .

فقلت له من الغريب أن يظهر مثل هؤلاء الكتاب ثم يزولون

ثم يعودون للظهور كما لو كانت لهم فصول يشرقون فيها .
فأجاب: فصول الشعوب أدهش فريعاتهم وخريفهم يتجددان
باستمرار الى أن يفنوا .

— إنني لا أخشى لهذا الركود الألماني الحالي .
لقد ثار « جييت » منذ مائة سنة عند ما كان الألمان يعيشون
في حالة سيئة تشبه حالتهم الحالية على نظرية تدهور الشعب
الألماني في حدة وشك .

أدرست حياة بعض الساسة والمفكرين الألمان ؟
فأجاب في سرعة : « بسمرك » من جهة سياسته الواقعية .
لقد كان أعظم رجل في عصره . لقد اعتقدت دائماً أنه لم يكن
فقط الرجل ذا القبضة الحديدية والرأس الصلعا . وقد وجدت
في كتابك الدليل على عمق طبيعته وغلزارتها . هل يعرف الألمان
« كافور » ؟

فأجبت : قليلاً جداً . إننا نعرف مائزيني . وقد عثرت هذه
الأيام الأخيرة على خطاب مدهش أرسله على ما أظن بين سنتي
١٨٣١ و ١٨٣٢ الى « كارلو البرتو » . فوجدته عبارة عن رجاء
شاعر الى ملكه . هل توافق على سجن هذا الأمير له بعد قراءته
هذا الخطاب ؟

فأجاب موسوليني : الخطاب من أبلغ السندات التي كتبت
حتى أيامنا هذه ، دون شك . مازالت صورة « كارلو البرتو »

غامضة على الايطاليين حتى اليوم . لقد نشرنا أخيراً مذكراته الخاصة وهي توضح صورته بعض الشيء . لقد اشترك الرجل في أول الأمر في حركة الأحرار ولم يتعقب مازينى في سنتي ٣٢ و٣٣ إلا في حالة سياسية خاصة .

دفعني تحوط هذا الجواب الى التصريح بالمقارنة الخفية الدائمة بين ماضيه ومستقبله فقلت : لقد حدث هذا عندما كانت الحكومة الإيطالية تعتبر « إيطاليا الفتاة » جمعية غير مشروعة ألا تظن أن الرقابة تمنع دائماً مثل هذه الحركات من الظهور ؟ هل كنت تسجن مازينى اليوم ؟

فأجاب بصوت ثابت : كلا دون شك . إننى مستعد لمقابلة كل من يريد أن يقدم لى فكرة تجول فى رأسه وأن أناقشها معه ولكن مازينى نفسه لم يكتب خطاباً إلا تحت تأثير عاطفته لا عقله لقد كان سكان البيومننت لا يتعدون حينئذ الأربع مليون نسمة وكانت حكومته فى حالة ضعف تام ازاء النمسا وسكانها البالغين ٣٠ مليوناً . فابتدأت من جديد : وهكذا سجن مازينى وحكم على جارييلدى بعده بالموت وبجنت أنت نفسك بعدهما بجيلين ، ألا يجب أن يترتب على هذا أن تحتاط كل حكومة ما استطاعت فى معاقبة معارضيه ؟

فسألتى بصوت متحد : أنظن أننا لا نحتاط فى هذه الظروف ؟ لقد أرجعت عقوبة الإعدام بعد إلغائها .

فقال : هذه العقوبة موجودة في كل الممالك المتمدنة . في ألمانيا وفرنسا وإنجلترا .

فاستطردت : ولكن نظرية إلغاء عقوبة الاعدام نشأت عنكم وشاعت عن طريق كتب «بكاريا» فلم أرجعتها ؟ فأجاب :
لأنني قرأت بكاريا . ولم يكن يسخر أو يظهر على وجهه أى أثر للسخرية بل استمر بكل رزانة : لم يكتب هذا الرجل حقيقة ما تظنه الأغلبية . ثم إن الجرائم زادت في الاعوام الأخيرة عندنا زيادة فاحشة بمعدل خمسة أضعاف ما يحدث في إنجلترا .
لأننى أتبع في هذه المسألة النظريات الاجتماعية لاغير . ألم يقل القديس تومازو بوجود بتر الذراع الفاسدة حتى لا يفسد كل الجسد ؟ ولكننى مع ذلك أنظر في الأمر بكل حذر وتسامح ولا أدعهم يحكمون بالاعدام إلا في الحالات القاسية التى تظهر فيها طبيعة الاجرام . لقد عذب رجلان منذ عامين طفلا ناشئاً ثم قتلاه وقدماه للمحاكمة وتابعت أنا القضية خطوة خطوة حتى إذ شككت في اللحظة الأخيرة عند ما رأيت أن أحد المجرمين كان شيخا يعشق الاجرام وسبق أن عوقب أكثر من مرة بينما كان الثانى شاباً لم يسبق له أن ارتكب جريمة ما أمرت بأن تؤخر ساعة الاعدام قبل حلولها بست ساعات وحملتهم على الافراج عن الشاب .

فقلت : ولكن هذا من امتيازات الدكتاتورية .

فأجاب محدثاً على ملاحظتي القاسية :
وما عدا ذلك فآلة حكومية تسير بدافع قوتها الذاتية ولا
يستطيع أى إنسان أن يوقفها .
فقلت: أتحب أن ننقل من هذا الحديث الخطر الى التكلم
فى موضوع نابليون بصفته أقرب موضوع إلينا ؟
هيا بنا

انتى لم أفهم من حديثنا السابق بوضوح ان كنت تنظر
إلى نابليون كمثّل تقتدى به أو كعبرة ليس إلا . فاستند إلى
الخلف وقطب وجهه وقال بصوت محبوس : كعبرة . لم أقند
يوماً بنابليون وليس بينى وبينه أى شبه فرسالته تختلف عن
رسالتى كل الاختلاف والدليل على ذلك انه ختم الثورة الفرنسية
بينما بدأت أنا الثورة الفاشية . لقد دلتنى حياته على العيوب
التي يصعب على الانسان عادة تجنبها . وهى ، وراح يعد على
أصابه: المحسوية والنزاع البابوى وانعدام الروح الاقتصادية
والمالية . انه لم يلاحظ فى حياته غير أن دخل حكومته كان
يهبط بعد انتصاراته .

لم أرد أن أجتاز بأسئلتى تلك النقطة التي لم يكن أحد غيره
يستطيع أن يلمسها . فعدت إلى التاريخ وسألته كما لو لم أكن
أعلم ذلك : ما سبب سقوطه ؟ أساتذة المدارس يعتقدون أنها
انجلترا .

فقال : كلام فارغ لقد سقط كما تقول في كتابك بسبب تناقض طبيعته الدفين ، وهو تناقض يحكم بالسقوط على كل من يظهر فيه . لقد أراد أن يكون ملكا وينشأ عائلة مالكة . لقد كان عظيما وهو قنصل بسيط حتى إذا ما اعتلى العرش بدأ يتدهور . لقد أرغمه التاج على مواجهة حروب جديدة . أنظر إلى كرمول بعكس ذلك : رجل فيه قوة الفكر وقوة الحكم دون الميل إلى الحرب .

سحبته بهذه الطريقة إلى موضوع من أهم المواضيع . فقلت : هناك إذا سيادة دون امبراطورية ؟

هناك « نصف دسطة » سيادات . لا ضرورة البتة للامبراطورية بل انها خطيرة تفقد قوتها المنظمة كلما اتسعت ولكن الميل إلى السيادة قوة أولية في طبيعة الانسان تشبه كل الشبه ارادة الحكم . اننا نشهد الآن سيادة الدولار وقد شهدنا يوما ما سيادة دينية وسيادة فنية تشترك كلها في الدلالة على قوة الانسان الحيوية . الانسان يميل إلى السيادة مادام على قيد الحياة ولا يفقد هذا الميل إلى الممات .

رأيت في موسولينى ، تلك اللحظة ، شها غريبا بينه وبين نابليون وقد تغيرت ملامحه ولهجته عند ما ختم كلماته قائلا : لكل امبراطورية دون شك قمة تقف عندها لأنها دائما صنيعة رجال نابغين ، في طبيعتهم بذور الفناء والسقوط . فيهم عنصر

التوقيت ككل شيء شاذ ولكنها قد تدوم قرناً أو قرنين أو عشرة قرون حسب ارادة تحكم القائمين بها .
فسألته : وهل لا يستطيع الانسان أن ينقذ هذه الحالة إلا بالحروب ؟

فأجاب وقد تقدم بصدرة واستند بذراعه كما لو كان يخطف من أعلى مكتبه : ليس بالحرب فقط . العروش في حاجة إلى الحرب لتدعيم نفسها أما الدكتاتوريات فليست دائماً في حاجة لها . هناك دكتاتوريات تستطيع أن تستغنى عن الحروب قوة الأمم نتيجة عناصر جمّة لا العنصر الحربى فقط ولكن قوة الأمم في الحروب كانت حتى اليوم المقياس الذى تقاس به مكاتبا ، حسب الرأى الشائع . لقد كانت القوة العسكرية حتى اليوم مثل خلاصة قوى الأمم جميعا .

فقلت : لقد كان هذا حتى أمس . وغدا ؟

فأجاب بصوت الشاك : غدا لن تكون مقياسا صائبا لذا أرى ضرورة وجود حكم بين الدول . على الأقل انضمام قارة بأسرها . حتى إذا ما انضمت الدول سرنا إلى ضم القارات . إلا أن هذا فى أوربا صعب جدا لأن كل شعب من شعوبها يختلف عن الآخر لغة وعادات وطبيعة . لكل من الشعوب الأوربية جانب خاص يعوق الانضمام . اما فى أمريكا فالأمر أسهل بكثير .

فسأله من جديد : ولكن أليس في كل شعب جانب آخر
يسهل الانضمام ؟ .

يوجد خارج قوة كل أمة . لقد أراد نابليون أن يوحد
أوروبا . وكانت هذه رسالته وموضع ثغره . ولعل هذا أسهل
الآن منه حينئذ ولكن للحد الذي كان يفهمه شارلمان وكارل
الخامس أى من المحيط إلى الأورال .

إذن ليس إلى الفيستولا فقط ؟

ألم تتصور أنت أوروبا هذه تحت قيادة الفاشية ؟

فسألني بصوت حاد : ما تعنى بالقيادة ؟ ان فاشيتنا كما هي
فيها عناصر قد يستطيع غيرنا أن يأخذها .

ورغم المؤلف هذا الفصل بقوله :

فأجبتة : لا يريد أحد أن يكون ملكا بعد اليوم . لقد قلت
أخيرا لقواد ملك مصر أن الملوك يجب أن يحظوا بحب شعوبهم
بينما يجب أن يبعث الدكتاتوريون بالخوف في نفوس جماهيرهم
فأجابني : كم أود أن أكون دكتاتورا .

أفى التاريخ الانساني غاصب أحبه الشعب رغم اغتصابه ؟
فعاودت موسوليني علامات الرزاة وقال بعد لحظة صمت
بصوت بطيء : لعله « قيصر » لقد كان قتل « قيصر » مصيبة على
الانسانية . ثم استرد بصوت خافت : اننى أحب « قيصر » لقد
كان يجمع في نفسه عزيمة المقاتل ونبوغ الحكيم . لقد كان
فيلسوبا ينظر إلى الأشياء من حيث هي في أبديتها . نعم لقد

كان يحب المجد ولكن كبريامه لم تكن تبعده عن الانسانية .
في استطاعة الدكاتورين أن يحفظوا بحب شعوبهم إذا ؟
فقال بصوت المتأكد هذه المرة : دون شك إذا كانت هذه
الشعوب تخشاهم في الوقت نفسه . الجماهير تحب الرجال الأقوياء
الجماهير كالنساء .

وقد صرح موريليني المؤلف نفسه بما انخفضت ذكره في هذا
الباب عن رأيه في رجل السياسة وفي جنسية الشعوب :

الرجل السياسي محتاج دائماً للخيال وإلا فهو جاف
ولن يصل الى شيء ما ولكنه في هذا سواء مع كل الناس .
فليس في استطاعة أحد منا أن يصل الى شيء أن لم يكن له
شعور شعري، ان لم يكن له خيال .

هل تعتقداذا في الشبهة بين الشاعر والسياسي هذه الشبهة
التي وجدتها في دراساتي ؟ أظن أن شاعر المسرح يستطيع
أن يعد الطريق لرجل السياسة ؟ وهل يسبق الشاعر عادة
الثورات ؟ دون شك . الشاعر بنى العهود الجديدة دائماً .

* * *

ليست هناك أجناس خالصة حتى اليهودية نفسها ولكن
نفس الاختلاط هو غالباً منبع القوة والجمال في حياة الأمم .
الجنسية شعور لاحقيقة . ثم أن العزة القومية ليست في
حاجة الى تعصب الجنسيات .

مذكرات الحرب

انقطعت القطع الآتية من مذكرات موسوليني عن
اشتراكه في الحرب العظمى للتدليل على أن الوطنية
يجب أن تكون حملة لا كلامية فقط :

١٧ سبتمبر

ونصل في المساء الى منطقة مكشوفة بينما تصفر الطلقات
في الهواء صغيرها المعهود فتؤثر في نفس رفقائي. كنت أسير
حينئذ في آخر الصف وأشجع القريبين مني حتى اذا ما انقضت
برهة التأثر الاولى تابعتنا سيرنا المتعب وعلى أكتافنا الزمائم.
تحت نيران مدفعية العدو السريعة .

وفجأة تنفجر قبلة بجانب صف من البغال ولكنها لا تقتل
أحداً ثم تسقط أخرى بجانب نفر من زملائي وتنفجر فتشير
سحابة من الغبار . ويصبح أحد هؤلاء الزملاء من الألم فقد
هشمت شذاياها قدمه . ثم تنفجر قبلة أخرى بجانب جند آخرين
كنت بينهم فتهشم أغصان شجرة كبيرة وتكسونا بورقها وطينها
ولكنها لا تجرح أحداً .

١٨ سبتمبر

رأيت صلباناً أخرى لا تحمل أسماء لأنها قائمة على حفرة.

واحدة . ما أتمس حظ هؤلاء الأموات المقبورين في هذه
الحفرة المنفردة . إني أحمل في قلبي ذكرى لهم لن أنساها .
انكسنا بين الصخور تحت النجوم وإذ بضابط يمر بنا ويأمرنا
بتعبئة بنادقنا ووضع السنج فيها موصياً أيانا ألا نترك أما كنا
لأى سبب من الأسباب .

ابتدأ القتال في الساعة العاشرة فإذا بنا نسمع شبه فرقة
البنادق الايطالية الجافة المزججة وضوضاء البنادق المتكاثرة
وأزيز « موتوسكلات » الموت وهي تعدو عدوها المشوم وقد
اشتدت سرعتها اشتداداً رهيباً حتى بلغت ٦٠٠ عديداً في الدقيقة
بينما راحت القنابل تقطع الهواء وتزيد من وهج النار فتصبح بعد
منتصف الليل كنار جهنم .

ويستمر القتال ويحمى وطيسه على طول الخط وتنهال
الطلقات على رؤوسنا انهياراً متلاحقاً .

وفجأة يصبح صائح : انظروا ! انظروا أرضاً ولكنى
أضطر للوقوف حتى أترك مكاني لجريح انفجرت بجانبه قبلة
ضخمة ذهبت بذراعيه فوق وهو يطلب إلى بصوت يئن من
الآلم قليلاً من الماء يروى به عطشه ولكن رجل الاسعاف رجاني
ألا أقدم اليه الماء فاكثفت بتغطيته بغطاء من الصوف وتركته
في حراسة الله .

اشتد البرد وعم السكون حتى اذا اقرب منتصف الليل

أيقظنا دوى هائل لقنبلة نمساوية انفجرت فجأة فذهبت بحزم
من قمة الجبل وبفرقة كاملة من اللواء الثامن التي كانت تحتلها ولم
تكذب تخفى حتى اخترق السماء المكفهرة بريق هائل ورج الوادى
حولنا رعد عميق .

١٩ سبتمبر

لاحظت بين الجثث جثة جندى لم أتعرف اليه إلا البارحة
فقط وقد لفت رأسه فى قماش من أقمشة الخيم كما لفت جميع
الجثث الأخرى حتى لم يكن يبدو منها إلا أياديها المتصلبة سوداء
يعلوها طين الخنادق .

٢١ سبتمبر

لم تفلح العسكرية الألمانية فى إيطاليا مطلقاً ، ثم أن هذه
الحرب التي قامت بها الشعوب لاجيوش المعسكرات هي فى
الواقع الدليل المادى على زوال المهنة العسكرية .

٢٧ سبتمبر

لم أتناوق طعاماً منذ صباح أمس إلا جرعة من القهوة
الباردة مع أن المطر لم ينقطع منذ يومين . ولم أغض عيني هذه
الليلة فقد قضيتها تحت الخيمة مع زميل فلاح كان يتذمر وقد
ابتلت ثيابه كما ابتلت ثيابى واعتزته الحى .

يقراً مرسلي صباح هذا البرم هذه الصفحة من كتاب لماريني :
 «لا يستطيع الانسان أن يقوم بالأعمال العظيمة معتمدا على
 القيود الدبلوماسية وهو لذلك في حاجة إلى فهم القرن الذي
 يعيش فيه وإلى الإرادة التي هي سر القوة .

إننا في حاجة إلى الرؤساء إلى أولئك القليلين الذين يحسنون
 القيادة ، إلى الأقوياء بأيمانهم وتضحياتهم ، إلى من يستطيعون
 القبض على رغبة الجماهير الجائعة ويفهمون نتائجها ويتفجرون
 بالشعور الكريمة فيصهرونها في كيان واحد هو كيان الانتصار...
 الى من يقدررون كل العناصر ويجدون كلمة الحياة والنظام للجميع ،
 الى من ينظرون الى الامام لا الى الخلف ويزجون بأنفسهم بين
 الشعب والعوائق التي تقوم في وجهه زج المستسلم المحكوم عليه
 بتضحية نفسه على مذبح الشعوب ، الى من يدينون بشعار .
 الفوز أو الممات . والذين يحافظون على وعودهم .

« لقد تحجر قلب الانسان حتى أصبح كهذه الصخرة . لقد
 أصبحت المدينة الحديثة كالآلات لانفس لها .

هل يحب هؤلاء الرجال الحرب ؟ كلا . هل يكرهونها ؟ كلا ،
أنهم يقبلونها كواجب لا جدل فيه .

ويتكلم عنه هاند المقاتلين المعنوية فيقول :

الحالة المعنوية هي النسبة المئوية الأساسية للفوز . يفوز في
الحروب من يريد أن يفوز . يفوز من يملك أكبر كمية من
القوى النفسية التي تعرف كيف تريد .

لقد أفلس مبدأ الآخاء المسيحي في هذه الحرب بين بني
الانسان ، ولم يقدم للعالم فرداً واحداً من أتباعه يستطيع التضحية
أو العصيان . وهكذا أفلس الاشتراكية أيضاً . أفلس هاتان
العقيدتان إذ هما لم يدفعاً بأحد الى التضحية واحتملا الزوبعة في
استسلام وخمول . لم يذهب الى الموت مسيحي واحد أو اشتراكي
واحد باسم المسيحية أو الاشتراكية .

وهذا لعمري بوار مخيف بوار أدبي وتاريخي للزهد المسيحي
والمادية التاريخية فكل فكرة تميل الى الزوال اذا لم تجد أحداً
يستطيع الدفاع عنها بحياته .

وهذا هو رأى الرجل فى مشكلة الاستعداد العسكرى من خطاب
ه فى مجلس الشيوخ :

هل تظنون يا حضرات الشيوخ ان الحرب التى خربت أوروبا
وأدمتها منذ أول أغسطس سنة ١٩١٤ الى ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨
كانت حقيقة كما يقولون آخر حرب عرفها التاريخ ؟

ان الانتباه الذى أصغيتم به الى المناقشات هذه الايام يدلى
على انكم لا تقاسمون المتفائلين هذا الظن الجميل والخطير فى الوقت
نفسه . لكل الحروب العالمية مبرر تاريخى ولكن الحرب فى
حد ذاتها ، ولكن الحرب التى تتعقب أبناء البشر من يوم قاييل
حتى اليوم ، لم تفسر بعد . فلتكن الحرب مسية الأشياء جميعا
كما كان يقول « اركليت » ولتكن منبعا لإلهيا كما قال « بردون »
بعده بخمسة وعشرين قرنا . لتكن العنصر الذى تستمد منه
الانسانية بذور تقدمها . لتكن كل ذلك فالحقيقة هى اننا نستطيع
أن نقول اليوم ان الحرب التى دخلناها والتى لى غفر الاشتراك
فيها كنفر بسيط ليست الأخيرة ، والدليل على ذلك ان أوروبا
شاهدت بعدها حرب روسيا وبولندا وحرب اليونان مع
تركيا فضلا عن الحروب الصغيرة الأخرى .

وشير بعد ذلك الى ضرورة الاستعداد لمقاومة السياسة ثم يستطرد:
يجب اذاً أن نزيد قدر استطاعتنا الانسانية من استعداد

الامة العسكرية . ماهو هذا الاستعداد؟ هو النتيجة الاخيرة لجميع القوى التاريخية والمالية للشعوب ، أقول جميع هذه القوى فان تقوية التيار الكهربائي في خط من خطوطنا الحديدية ، تقوية تقلل من حاجتنا الى الفحم زيادة لاستعداد الامة الحربى . وانزلنا باخرة جديدة الى البحر تحمل اسم أحد أبطالنا البحريين عنصراً آخر يزيد من استعداد الامة الحربى . وأقول القوى التاريخية لأن هذه القوى أيضا تؤثر تأثيراً عميقاً في مصير الأمم . أتعلمون ما أهمية ذكرى نابليون في مجد فرنسا العسكرية؟ ولكن لا شك في ان جميع القوى الاقتصادية والسياسية والحرية مضافا اليها انتشار الثقافة في أرفع مظاهرها لا تكفى الأمم إذا استسلمت الى حياة الرخاء والاستمتاع الدليل ولم تجد في نفسها القوى الكافية للقيام بالمجهود العسكرى اللازم

الاستعداد العسكرى للامة هو اذاً النتيجة المركبة التى تنجم عن تنظيم استعدادها الحربى والاقتصادى والادبى والصناعى لاعن مجموعها فقط . الاستعداد العسكرى للامم نتيجة مركبة تنجم عن تنظيم استعداد الجيش والبحرية والطيران تنظيمًا متناسقًا لاعن مجموعها فقط والاستعداد الحربى لكل هذه الأسلحة نتيجة تنظيم الفرق والآلات والأرط وتنظيم استعمالها.



وهذا نصريح له عن مذهبه السياسى :

لقد اصبحت الفاشية اليوم حزباً وجيشاً وثقافة . كل هذا لا يكفى ، يجب أن تصير اسلوباً لحياة جديدة .

ماهو هذا الاسلوب؟ الشجاعة قبل كل شيء ، البسالة ، حب الخطر ، كره البطالة والاستسلام . الاستعداد للقيام بكل عمل جرىء فى الحياة الفردية والحياة الاجتماعية . كره كل ما هو خامل أما فى العلاقات الشخصية فالصرامة التامة والأحاديث المكشوفة لا الهمسات السرية النكرة النذلة .

اتى أصرح بأن ليس من الممكن أن تنقل الفاشية إلى الخارج بسبب اختلاف العناصر التاريخية والجغرافية والاقتصادية والأدبية ولكنى أصرح فى الوقت نفسه بأن فى الفاشية عناصرأحيوية لا يمكن أن ينكر الانسان طابعها العالمى لقد شعر العالم أجمع بأن النظام البرلمانى أتى بفائده ودام بضع عشرات من السنين فى تاريخ القرن التاسع عشر ولكنه اليوم غير كاف لاحتواء ضغط حاجات المدنية الحديثة ورغباتها

دار "مجلى" للطبع والنشر

القاهرة — شارع الداخلية

تليفون ٥٥٤٥٥ و ٥١٤٥١

